الأضرحة
وشرك الاعتقاد

«قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا»

دكتور عبد الكريم دهينة

دار النور المحمدي
ت: ٥٧٠١٣٨٢
٨٥٧٨٨٥

دار النور المحمدي
ت: ٥٧٠١٣٨٢
٨٥٧٨٨٥

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم المؤلف

د/ عبدالكريم دهينه

أقول متفائلا بقول الصديق وهو على فراش الموت يشير إلى صحابة الرسول وقد اجتمعوا حوله بأعين تهمل الدموع الشجية ، قال : ياهادى الطريق جرت إنه الفجر أو البجر ....

ومعنى العبارتين ، أنه للطريق المستقيم الواضح وضوح أول شمس النهار أو الظلمة العتماء التى تغشى الحياة فلا يدرى الإنسان ماينفعه أو يضره .

ومات المبشر بالجنة وخلفه مبشر بالجنة آخر ، وهكذا حتى أتى الموت جميعا ، على الذين بشرهم النبى بالجنة ، وعلى الذين قال فيهم الله سبحانه وتعالى فى سورة التوبة ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم** ﴾ (التوبة : ١٠٠) .

ذلك بشرى للرعيل الأول الذين فدوا النبى بأنفسهم وأموالهم ، فأحبهم الله ورفع قدرهم ، وتجاوز عن سيئاتهم فضلا منه ونعمة .

أما البشرى لنا نحن المتأخرين زمنا وعملا فهى قوله تعالى : ﴿ **والذين جاءوا**

من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (الحشر : ١٠) .

وهذا الغل والحقد الجاهلي ، ظهر في القرون التالية لعصر التابعين ، كان كامنا في النفوس الدخيلة ، ظهر لما واتته الفرصة فانقسمت الأمة إلى فرق متعددة تكيد كل فرقة كيدا للأخرى ، والأخذ بأقوال الوثنيين وغيرهم ، ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال محذرا « لتتبعن سنن من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر (معنى الحديث) وفيه أيضا ما معناه : « لو دخل أحدهم جحر ضب لدخلتموه أو أتى أمه علانية .... الخ » .

وكأن الرسول ينظر من ستر رقيق ، فهو يحذر ، ويخبر أنه سيحدث ذلك إن لم تسر على سنته .

إن كتابي هذا للمبصرين ليزدادوا بصرا وبصيرة ، بغير نظارة مكبرة بصرية أو بصيرية ...

وإنه إلى الغاوين والمضلين والمضللين لغيرهم تذكرة لعلهم يرجعون إلى الله ورسوله ، إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وقد ترك لهم الحق المشيئة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، **﴿كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ ، ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلاّ تخرصون ﴾** (الأنعام : ١٤٨) .

أما الحاقدون الموتورون ، الذين فقدوا السمع والبصر والفؤاد والذين أولى بهم أن يسكنوا مستشفيات الأمراض العقلية فلا حيلة لنا من الناحية الدينية أو الطبية في علاج أنفسهم فهم المعنيون بقول الله تعالى : **﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم**

أءنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ (البقرة : ٦ـ ١٠) .

فإن وقف هذا الفريق المختوم السمع والبصر والفؤاد ضد ما نكتب من الرجوع إلى التوحيد ، كما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ، قلنا لهم موتوا بغيظكم فإن الله ناصر دينه ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ .

إن الشمس أشرقت من جديد بعد عصور التخلف ، العصور الوسطى التى أسيئ فيها إلى الإسلام ، وهاهي النفوس تهب لرفع راية الإسلام ، ليظهره على الدين كله كما وعد سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم .

وقد جاء الإسلام يدعو إليه خاتم النبيين والمرسلين فى وسط موجات من الشرك والوثنية التى اخترعتها العقول ذات الهوى ، وويل ثم ويل لذى الهوى إن لم يؤيد بتأييد الله عز وجل ، ورحم الله القائل :

نون الهوان من الهوى محذوفة　　　فإذا هويت فقد لقيت هوانا

ما عبد فى الأرض شر من الهوى .

دعا الإسلام إلى توحيد الألوهية فى حرارة وحماسة وحارب الوثنية فى جميع صورها ، وما يذكّر الناس بها ، فنهى عن رفع القبور وتسميتها وأمر بهدمها وتسويتها بالأرض ، مما يفضي بالناس إلى تعظيمها ، كما يشاهد ذلك فى جميع القرى والمدن المصرية على الأخص والعربية على الأعم إلا دولة واحدة .

ونهى عن شد الرحال إليها وإيقادها بالسرج ، ولكن يأبى الشيطان إلا برقص

رقصته ، وتحقيق وعده ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين**﴾، حتى أوصلنا ذلك إلى جاهلية جهلاء وأمة عمياء ذات ضلالة وتقليد لذوى الترهات الضالة والعقائد الشركية والوثنية والإلحادية .

إن التصوف بما يحمل من خداع إحدى هذه العوامل التى هوت بالناس إلى المدارك السفلى من الوثنية المنحطة السافلة .

فإبليس عندما عصى ربه ، كان يقول فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، ولكن أبالسة الصوفية يصفون مقام الألوهية بقول أحدهم وهو الكبريت الأحمر كما يسمونه ابن عربى :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا فى صورة إنسان

وأصحاب المدد الوثنى ، واللدنيات الشيطانية ، يقولون إن ابن عربى ورهطه من كبار المتصوفة كانوا أولياء الله بل قمة الولاية (ومن ذاق عرف) كما يدعون .

أى أن إبليس كافر وملعون لأنه قال لربه (فبعزتك) بعد عدم تنفيذ أمره .

وابن عربى وأحلافه من الشيوخ ـ كما جاء فى كتبهم العديدة ـ أولياء الله وأحباؤه بعد أن شتموه وسبوه بأن الكلب والخنزير إلاههم ، إنهم شر من اليهود ، الذين قالوا ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾ .

إننى أهيب بالقارئ الكريم ، أن يجعل له ساعة من النهار أو ساعتين على الأقل ليقرأ كتاب ربه مفسرا على يد عالم سلفى لا معتزلى ، ولا مرجئ ،و لا شيعى ، ولا خارجى ، وليقرأ التاريخ العربى لماذا تفرقت الأمة إلى هذه الفرق الكثيرة وليعتز بما كان عليه الصحابة فهم الرعيل الأول الذين وصفهم القرآن الكريم بالمؤمنين فى قوله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ (النساء : ١١٥) .

والمؤمنون الذين يقصدهم القرآن الكريم هم الرعيل الأول الذين مات الرسول
وهو عنهم راض ، ومن سار على دربهم وصل إليهم

اللهم اجعلنا منهم

دكتور عبدالكريم دهينة

الفصل الأول

١ - التصوف ظاهرة انسانية

٢ - جولة سريعة بين المذاهب الصوفية ، وتأثير الصوفية المصرية القديمة فى جميع العقائد .

٣ - دعاة الصوفية فى الإسلام .

التصوف ظاهرة إنسانية :

ظهر التصوف حيث ظهر التدين ، ضدا له منذ قامت الرسالات النبوية ، أول رسول ذكره التاريخ فى الفراعنة أقرب الأم لأبيهم آدم عليه السلام النبي ادريس عليه السلام ، وقصته معروفة لدى المصريين القدامى باسم (أوزوريس) والله أعلم بذلك ، وقد أشارت الآثار الفرعونية إلى قصة عجيبة ماأظنها إلا محشوة بالخرافات والأساطير التى تعقب وفاة الأنبياء من أنه صعد إلى السماء وأقام فى كوكب من كواكبها ، وابتدأت فكرة التثليث التى اخترعها فلاسفة (السوفيزم) حول إوزريس وإيزيس وحوروس ، وفى رفعه إلى السماء أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى سورة مريم لقوله تعالى : ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾ وبعض المفسرين يفسرون المكان بالمكانة، أى الدرجة العظمى ، وإن كنت أميل إلى رفعه إلى مكان علىّ كما رفع عيسى عليه السلام ، ولله فى خلقه شئون .

كذلك قصة نوح الذى أمره الله ببناء السفينة ، عرفت هذه القصة عند السوماريين باسم ملحمة «جلجيمث» ، وجميع الرسل صلوات الله عليهم أجمعين قد تلقوا وحيا من الحى القيوم بواسطة عالم نورانى «الملائكة» .

ومقابل هذا الوحى الإلهى قام بعض الناس دفعهم الاهتمام بمعرفة الغيبيات إلى اتخاذ أساليب سلوكية لا يرضى عنها الوحى الإلهى زاعمين أنهم ذوو صفاء وقدرات معينة ، وطاقات عليا يمارسون فى أساليب يظنونها كافية للاتصال بالحى القيوم ، ولكنهم قد ضلوا السبيل ، فلم يخلق الله عباده يتركهم بدون ارشاد ، وبيان طريق الخير الذى يرضاه وطريق الشر الذى يأباه ، كانت طرق هؤلاء القوم

تدور في إطارين « السحر ، والطوطمية » وظنوا بذلك أنهم في غنى عن الوحي الإلهى ، وأنهم بعقولهم التى تدور فى حلقة السحر والطوطم يصلون إلى الله دون حاجة إلى وحى .

هذا هو منشأ السوفيزم الذى ترجم فى العصر العباسى إلى «الصوفية» ولو دققت النظر وأمعنت التفكير ، وحذقت البحث لوجدت صوفية اليوم هى صوفية الأمس اليهودية والمسيحية والإسلامية واحدة ، فهم يفخرون بأنها مبنية على الذوق ، ويرددون خرافاتهم المشهورة « من ذاق عرف » وكثيرا ما يقول أئمتهم إننا نأخذ علمنا عن الحى القيوم مباشرة ، وغيرنا يأخذ دينه من ميت عن ميت (يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم) وإنهم أهل العلم اللدنى ، أى يرسله الله إليهم مباشرة دون وحى أو رسول ، هذا قول الصوفية قديما وحديثا ، وكتبهم ملأى بهـذا .

وقد طلبت مرة من أحد الشاذلية أن يفسر لى ما جاء فى ورد الشاذلية قوله :

يا آل يسن بحق الأول وأحرف النور ولام الأزل

فلم يفدنى شيئا عن أحرف النور ولام الأزل هذه ؟.

وسألته أكان يعرفهما الرسول صلى الله عليه وسلم أم لم يعرفهما ؟ ! وإذا كان يعرفهما فلماذا كتمهما عن صحابته وهم حواريوه ، وقد قال فيهم : «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ**» أوكما قال.

واتخذ الناس الذين أعرضوا عن وحى السماء السحر والطوطمية ومن دعائمهما الرقص والغناء والتماثيل والرسوم ، ووصفوا ذوى القدرات السحرية أنهم يملكون قوى غامضة (أسرار لدنية) لا سيما أن من طبيعة الحياة ، ومن سنن الكون أن الخير

والشر توأمان قد يحضران أو يحضر أحدهما والثاني يعقبه فنسبوا ذلك إلى قدرات خاصة في السحرة أو الطواطم ولم يعرفوا أنها سنة الحياة .

وقد لازمت هذه العقيدة في قدرات بعض الناس على التصريف في الكون جميع الناس الذين تدينوا بالدين السماوي سواء أكانوا يهودا أو نصارى حتى الإسلام كما يقول الرسول « **لتتبعن سنن من قبلكم** » .

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، قال : بينما هم جلوس ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ رمي بنجم فاستنار ، **فقال لهم رسول الله : ماكنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا** ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، كنا نقول ولد عظيم الليلة، ومات الليلة رجل عظيم . **فقال رسول الله : فإنها لا يرمى بها لموت أحد أو لحياته . ولكن الله إذا قضى أمرا سبحته حملة العرش ثم سبحته أهل السماء الذين يلونهم ، ثم سبحه أهل السماء الذين يلونهم حتى بلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، ثم يقول الذين بعد حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم ؟ فيجيبونهم ، فيستخبر أهل السماوات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فيخطف الجن السمع ، فيلقونه إلى أوليائهم ، فما جاء على وجهه فهو الصحيح ، ولكنهم يفرقون فيه ، ويزيدون فترمى الشياطين بالنجوم** » .

الاعتقاد بما وراء الطبيعة أمر لم يتركه الوحي السماوي ﴿**ماأشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**﴾ فما وراء الطبيعة لا يقاس بداخلها ، لكن هذا لم يمنع الإنسان من الهجوم وادعا عقله

بعيدا ، واتخذ لذلك صوفية غامضة سماها الذوق والإدراك اللدنى والإشراق ، وهكذا كانت الصوفية اليونانية ، حتى اعتقد «الباخيون» فى القرن الثالث قبل الميلاد أن الإنسان نصف إله ، ونتج عن تلك الطقوس ماسموه بالتوحيد أى اتحاد الله مع العبد ، وإن كانت الصوفية اليونانية قالت ذلك ، فقد رددها الصوفيون المسلمون ، انظر ابن الفارض إذ يقول :

ومتى غبت. ظاهر عن عيانى ألقه نحو باطنى ألقاك

(و راجع كتاب النفرى ـــ المواقف والمخاطبات ص ٥١)

ولا يخفى على الباحث الأديب ، أن أحاديث الصوفية والسحرة تقترب ، إنها افتراضات وأخيلة وصور وأوهام ، مزجت بكثير من الحكايات والأغلاط والمبالغات.

وزعموا أن تلك المعارف ربانية ، وأنها وحى ومشاهدة ومكاشفة وقراءة فى اللوح المحفوظ ، وأنهم نالوا ذلك الإصطفاء الالهى لهم لا بالعلم والتعلم ، كأن الصوفية المحدثين لم يقرءوا قوله تعالى **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ﴾** .

يقولون أنهم من أهل الحقيقة لا من أهل الظاهر ، أى الشريعة . وأنهم يأخذون علمهم من الله مباشرة ، أى أنهم لا يرون النبوة والوحى السماوى .

جولة سريعة خاطفة
بين المذاهب الصوفية الغير إسلامية

قدامى المصريين :

هم أول من حدد العلاقة بين الآلهة والبشر ، مع اعتقادهم فى الله أكبر جل جلاله ، انظر إلى موسى يقول لفرعون كما جاء فى (سورة الإسراء الآية ١٠٠ـ١٠١) ومابعدها : **﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبورا﴾** .

ولعلك أيها القارئ الكريم تلاحظ أنهم كانوا يحلفون بالله سبحانه وتعالى ، كما جاء فى سورة يوسف **﴿قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء﴾** وما قالته امرأة العزيز تبرئ يوسف وتتهم نفسها (الآية ٥٠ سورة يوسف) : **﴿ قال ماخطبكن إد راودتن يوسف عن نفسه ، قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ومأبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم﴾** .

بدأ المصريون حضارتهم منذ الألف الخامس قبل الميلاد ، فهم أقرب الأمم قاطبة لأبى الخليقة آدم عليه السلام ، وإن كانت الأرض قد خلقت من بلايين السنين

وفيها مخلوقات أكثر شبها بالإنسان ولكنها ليست مكلفة . وكانت تعيث فسادا ، ووضح القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٢٩ وما بعدها ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ .

وقد وضحت هذه الحقيقة فى كتابى « سر الوجود بين الحفريات والقرآن ، نشر دار الشرق الأوسط » .

وتفلسف المصريون فهم أول من أعلن التثليث ، بل هم سادة هذا المذهب ، وقد أنبأنا القرآن الكريم فى صورة مناقشة أهل الكتاب فى (سورة المائدة الآية ٧٧) :
﴿ **قل ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ .

وقد أثر تثليث مقام الألوهية فى جميع أديان الأرض حتى فى عقيدة التوحيد الإسلامية ، إذ نرى صوفيا يقول :

لقد تثلث محبوبى وقد كان واحدا   وصير الأقنوم بالذات أقنما

أخرس الله لسانه ولسان الصوفية جمعاء ....

وقال صوفى آخر يتحدث عن لاهوت الله وناسوته ، ووحدته مع خلقه ، وأنه هو الظاهر فى خلقه يقول :

سبحان من أظهر ناسوته　　　سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا　　　في صورة الآكل الشارب

أى أن الله سبحانه وتعالى ظهر في الخلق يأكل ويشرب .

هذه عقيدة الصوفية الحقيقية تأثرت بعقيدة صوفية قدماء المصريين التثليث والناسوت واللاهوت ، ولا يغرنك نفاقهم وادعاؤهم الإسلام والتوحيد ، فإن مايعتقدونه يقولون في «حضراتهم» إذا جلس بعضهم مع بعض ، وأمام الناس يتقون بما يعرفه الشيعة بمبدأ التقية .

لقد تأثرت الأديان بالتصوف المصرى القديم ، وتفاعلت جميع الأمم بدءا من الآشوريين والفرس واليونان والهنود بهذا المبدأ المصرى القديم . وكانت نتيجة هذه العقيدة بجانب صدامها لعقيدة التوحيد ، مجالا للفن أى الإباحية التى سموها فنا. حتى قام مذهب فى أوربا فى القرون الوسطى « مذهب البوهميين » يحللون كل شىء ممنوع باسم التصوف ، أو مايسمونه فى عرف علماء اللغة والإجتماع «الفن للفن» وتجد الصوفية فى حضرتهم التى يرقصون فيها على نشيد المنشد وإيقاع المزمار أو الدفوف غزلا فى ليلى وسعدى مدعين أنهم يتغزلون فى الذات العلية ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ ويسمون أنفسهم العارفين بالله ، وأهل القرب وأهل البسط ، وأهل الدلال على الله ، حتى أن متصوفة يسمونها رابعة العدوية لم تتزوج وقالت إنى مخطوبة إلى الله ، وفى فيلم سينمائى ظهرت هذه الخرافة المزعومة التى قالتها هى والصوفية فانتهى الفيلم السينمائى بموتها ورفعها إلى السماء عروسا فى جلوة من الحور العين يجلونها لأنها ستقابل عريسها فى السماء « لعنة الله على هذا الفيلم وعلى من وافق على

عرضه» ، ويمكنك أيها القارئ أن ترجع إلى كتاب « شهيدة العشق الإلهى » للدكتور بدوى الذى يثبت بمراجعه الكثيرة الصوفية هذا الإفك العظيم الصوفى ، وصدق القرآن الكريم فاقرأ قوله تعالى فى سورة النساء آية ١١٥ ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ، إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا** ﴾ فأنت ترى إعجاز القرآن فى تصوير بعض أعداء الله سبحانه وتعالى :. إذ يصورونه جل وعلا فى صورة الأنثى.

ولقد كنت أرقص معهم فى حضراتهم الشيطانية ، وسمعت منشدهم يغنى قائلا :

سلبت ليلى منى العقلا　　　　قلت ياليلى وارحمى القتلا

وعلمت بعد قراءاتى ، وأبحاثى وهدايتى أن ليلى التى يتغنون بها فى حضراتهم الشيطانية هى كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» . ولما تأثرت الثقافية الفارسية بالصوفية الفرعونية عبدوا النار، وقامت الديانة المزدكية والزرادشتية على هذا النمط وفى العقيدة الإيرانية القديمة ظهر مانى ٢١٥م وادعى أنه البارقليط وأن المسيح وعد بمقدمه ليخلص العالم من الشرور وهو أول من وضع نظرية المعرفة ، وإطلاق لقب العارف بالله ، الذى يطلقه الصوفية بعضهم على بعض ، ونظرية المعرفة عند الصوفية المسلمين معروفة ، وهم يقولون فى حضراتهم الشيطانية «من ذاق عرف» .

لا أطيل على القارئ حتى لا يمل ، ولا أتعب رأس قارئ هذا البحث بالمعضلات الفلسفية التى قام بها هذا الدين الشيطانى الذى أفسد جميع أديان الأرض ، وكان أداة طيعة فى يد إبليس الذى خاطب الله أزلا قائلا : ﴿ **فبعزتك**

لأغوينهم أجمعين ﴾ ثم استثنى وقال : ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ أى هم أولئك الذين اتبعوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم تصبهم هستيريا الشيطان بما يسمونه الشطح والنطح والجذب الوصل والجمع وجمع الجمع .

لقد كان أخي رحمة الله عليه شيخ طريقة رفاعيا فـأخذت بتلابيبه وأقنعته بالتوحيد ، والبعد عن ترهات هؤلاء الزاعمين أنهم أهل الله وخاصته وانتهى الصراع بيني وبين أخي حتى أنشأ قصيدة قبل موته يعلن توبته أذكر منها هذا البيت ... رحمه الله رحمة واسعة .

وإني بالتوحيد أرجو أخذ يدى من بحار الذنوب دائما فى تجدد

وقد كان والدى رحمه الله يعجب بابن الفارض ويقول أنه عرضت عليه الجنة بحورها ونعيمها فلم يقبلها ، وأنشأ يعاتب الله سبحانه وتعالى :

إن كان منزلتى فى الحب ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

فنبهت أبى إلى ماجاء فى القرآن الكريم وكان يحفظه ويتلوه كثيرا ، ومن دعاء النبى لنفسه وهو على فراش الموت يطلب الرفيق الأعلى ؟! فهل ابن الفارض أفضل من النبى ؟! وهل اعتراضه على الله من الأدب ومن الوقار مع ربه ؟! رأيت أبى وقد كان صوفيا كبيرا يستيقظ من هذه الغفلات الشيطانية ، التى قرأها فى كتب هؤلاء القوم المنتشرة انتشارا ذريعا ، رحم الله والدى فكثيرا ماكان يقبل يدى «عطفا بى وحبا ، وتقديرا منه إلى فيمزح معى وأمزح معه» لم أفعل معه شيئا أكثر من أن نبهته إلى ماجاء فى آى الذكر الحكيم حتى يتطهر الذهن من غفلات وسوسة شياطين التصوف ومؤلفاتهم .

دعاة الصوفية في الإسلام :

بعد هذه الجولة الخاطفة تعالوا بنا لنرى ماذا أحدثه هؤلاء القوم وهم دعاة الصوفية الأول .

يقول البسطامي وهو إمام من أئمتهم « أول ماصرت إلى وحدانية الله ـ(انظر التعبير السيء)ـ فصرت طيرا جسمه من الأحدية وجناحاه من الديمومية ، فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين ، حتى صرت إلى هواء مثل ذلك ألف ألف مرة ، فلم أزل أطير إلى أن صرت فى ميدان الأزلية فرأيت فيها شجرة الأحدية (راجع مصطفى عبدالرازق ـ دائرة المعارف الإسلاميةمادة تصوف) .

أيرضى أى مؤمن بهذه التعبيرات الوقحة ؟! ولكنها ليست وقحة مادامت على لسان صوفي كبير ، وهناك مبدأ صوفي كبير يقولون فيه « يرفع التكليف فى حال سكرنا عنا » ويقولون أن لهم مكانا عند ربهم يسمونه مكان الأنس والبسط ، فلا تعجب إذا وجدتهم فى جلساتهم عندما يجتمعون فى موائد الشرك والإباحية التى يسمونها موائد الأولياء ، تجد لهم عبارات كلها سفيهة ولكن الناس يسمونها لغة الأولياء ، وحرصا منى على عدم صك سماع القارئ لا أذكرهذه العبارات ، ويمكن أن يسمعها لو اختلط بهم فى موالد الإثم والعدوان والشرك والفسق والإباحية المطلقة ، واحذر أن تعترض فإن أصابك الزمان بريبة ولابد للزمان من إحداث الريب قال لك الناس إن ذلك من اعتراضك على العارف بالله سيدك «أبوطرطور» .

وهذه الموالد التى يقام فيها للشرك والإباحية مقامات عليا يقصدها الناس قاطبة ، حتى إننى سمعت فى الإذاعة محافظ طنطا يقول: أن زوار البدوى أكثر من ستة

مليون شخص فى السنة ، مادامت هذه الموالد تبارك بزيارات العلماء ، مما يشجع الناس على الاعتقاد فى صاحب المولد ، وأنه يقول للشيء كن فيكون ، هذا الحديث المكذوب ، المخالف صراحة لنصوص آى الذكر الحكيم منها قول الله لسيد الخلق : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ ولكن سمعت هذا الحديث من جمهرة كثيرة من علماء صوفية التليفزيون ، سمعت باذنى منهم هذا وهم الذين افتتن الناس بهم ، وبعلمهم ، كما افتتن آدم عليه السلام بإغراء إبليس له .

ولا حيلة لى إلا أن أمد يدى إلى السماء سائلا ربى أن يخرس ألسنتهم كما سأل نوح عليه السلام ربه : ﴿ **إنك إن تذرهم تضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾ والدعاء عليهم هنا مشروع كما دعا النبى على كفار قريش فى واقعة بدر وغيرها وهو يحاربهم .

وكان المرحوم حسن البنا يهدد المارقين بقوله سنستعين بالله عليكم بأسلحة الفجر ، يقصد الدعاء عليهم فجرا .

وتعال معى إيها القارىء الحبيب لترى ابن الفارض وهو إمام كبير من أئمتهم يقرر أن الأديان كلها واحدة حتى لو تناقضت ، وأن الوثنية هى عين التوحيد والمجوسية هى عين الإسلام ، انظر إلى شعره كما فى شرح الكاشانى «ص٤٦٣» وفى التصوف العربى «ص٤٩» تأليف محمد ياسر شرف ، وفى مؤلفات الشيخ عبدالرحمن الوكيل ، التصوف ، ومصرع التصوف ، وكل المؤلفات التى تناولت هؤلاء القوم ... قال ابن الفارض فى تائيته :

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد　　　فما بار بالإنجيل هيكل بيعة

وإن خر للأحجار فى البرّ عاكف　　　فلا وجه للإنكار بالعصبية

وإن عبد النار المجوس ......الخ .

هى قصيدة طويلة اعتمدت شرحها في كتاب لى تحت التأليف (سر الوجود بين الناسوت واللاهوت) حتى أقنع القارىء بأدلة كثيرة من كتب هؤلاء القوم الذين سادوا فى العصور الحديثة عصور الإباحية الفاجرة « والصوفية وفنون الإباحية قرينان وإن شئت قلت توءمان » فما من إباحى إلا وهو صوفى ، وما من صوفى إلا وهو إباحى . ولا يغرنك مظاهر المسابح واللحى والملابس البيضاء والشطحات التى يقولون أنها «لدنيات» ولا يغرنك أيضا من أن يقال عنهم أنهم ذوو كرامات ؟! فما هى هذه الكرامات ؟ فقد صعد اللادينيون إلى القمر وإلى المريخ وإلى الكواكب البعيدة وماقالوا أنها كرامات تدل على أنهم أولياء الله !!! .

فالولاية لها شروط معينة ﴿ **ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ والحكم النهائى على قبول الولى أو عدم قبوله يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، ورحم الله عمر بن الخطاب وكان من أشد الناس خوفا من الله مع أنه مبشر بالجنة ، وكان يقول « لو قامت القيامة وقيل أن الناس ستدخل الجنة ماعدا واحدا لخفت أن أكون أنا » .

وانظر إلى جلال الدين الرومى وهو قطب من أقطاب الصوفية يقول: أيها المسلمون أنا لا أدرى من أنا ، فلا أنا مسيحى ولا يهودى ولا زرادشتى ولا مسلم ولا شرقى ولا غربى ، ولا علوى ولا سفلى ، ولا أنا من عناصر الطبيعة ، ولا أنا من الفلك الدوار ،ولا أنا هندى ولا صينى ، ولا عراقى ولا صينى ... ولا ... ولا ... ولا أنا جسم ولا روح فنفسى روح الأرواح ، لما لفظت اللاثينية ، رأيت العالم واحدا ، إنى أرى واحدا ، وأنشد واحدا ، وأعلم واحدا وأقرأ واحدا . (راجع شمس

الحقائق ٢٥٧) .

ويقول أحد أئمة الصوفية سهل التسترى : «الجنة معاينة الحق لبعض القرب الذى جعله بينه وبينهم ، فيرى العبد قلبه فى قرب الحق مشهودا فى غيب الغيب ، وغيب الغيب هو نفس الروح ، وفهم العقل وفطنة المراد بالقلب ، والروح موضع العقل ، وهو موضع القدس ، والقدس متصل بالعرش» (راجع تفسير القرآن للتسترى الصوفى ص١٠٧) .

ويقول قطبهم الأكبر وكبريتهم الأحمر كما يسمونه ابن عربى « الإنسان روح العالم وشمسه وسببه ، وأفلاكه مقاماته وحركاته وتفصيل طبقاته ، واعلم أن أكمل نشأة الإنسان إنما هى فى الدنيا .(راجع الفتوحات المكية جـ١ ص١١٨ لابن عربى) .

ويقول فى وحدة الأديان :

لقد صار قلبى قابلا لكل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن

(راجع ذخائر الأعلاق وترجمة الأشواق لابن عربى ص٢٩ ومايليها) .

ويقول إمام من أئمتهم يسمى ابن سبعين «آمنت بمن وجد الحق فلم يجد بعده ، ولا وجد قبله مع إنه قبل أن يوجد وجد» ...

وهكذا نرى لهؤلاء الملاحيس ألفاظا واصطلاحات يمكن أن نفهم مايشيرون إليه أو يجعلونها دائرة فى ألغاز وأحاجى يضحكون بهما على ذوى العقول المريضة بأنهم أهل الأسرار اللدنية ، ومع الأسف الشديد ، إنهم وإن أقروا بأنهم مسلمون

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ترد عنه هذه الألفاظ والأحاجي .

وسترى في كتابى أنهم يفضلون أنفسهم على الأنبياء والمرسلين وبعض كهانهم في التصوف ، قال : « وقفت على بحر وعبرته ولم يعبره الأنبياء ولا المرسلون ...»

رحم الله القائل : « إذا لمن تستح فافعل ماشئت !!! »

وهؤلاء أهل الأسرار لا حياء عندهم كما تقتضى الولاية الصوفية ؟!! .

وإنى أقبل دفاع صاحب كتاب الحياة الروحية فى الإسلام شكلا وأرفضه موضوعاً من أن ذلك قوله مجرد تشابه لا حقيقة ، فإن كان ذلك فلماذا يتمسك الصوفية قديما وحديثا بذلك في كتبهم وحضراتهم وندواتهم حتى فى الأحاديث التليفزيونية ؟! .

الفصل الثانى

مصادر التصوف فى الإسلام

١ ـ تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بالرسالة ؟! .

٢ ـ نظرية المصدر الهندى .

٣ ـ النظرية الفارسية .

٤ ـ صوفية اليونان .

٥ ـ عبادة القبور وساكنيها .

٦ ـ الصوفية والعشق الإلهى .

٧ ـ الصوفية والمحبة الإلهية .

٨ ـ من خرافات الصوفية التصرف فى الكون .

تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم

قبل الرسالة :

نرد عليهم ونقول أن الرسالة السماوية اختيار من الله ، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام الآية ١٢٤ : ﴿ **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله . الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ وليست الرسالة درجة من درجات الاجتهاد فى العبادة كاجتهادهم فيما يسمونه الأسماء السبعة أو الخمسة لا أذكر عددها ، تكلم عنها كثير من الصوفية ، « اقرأ كتاب الولاية للحكيم الترمذى» حتى تكون وليا يجب أن تقطع هذه الأسماء الخمسة أو السبعة لست أتذكر حتى تصبح كما يزعمون وليا ، بل ولهم فى ذلك أساليب غريبة ، فقد كان بعض شيوخ التصوف يعمد إلى مريديه أن ينام داخل قبر مهجور ليلا . ومعنى ذلك ، أنه حتما سيفزع ، فإذا فزع اضطربت النبضات العصبية فيختل عقله فيهذى بكلمات غريبة ، ويمشى بأسمال بالية ، ويعيش وسط الناس بقذارة ألفاظ وهيئة ، فيقال عنه أنه شرب شربة الولاية ، فإذا ظهر عليه هذا الحال عطف الناس عليه ، وفى الغالب الأعم يقولون بولايته ، ويفسرون ألفاظه وهمهماته كل حسب مايريد ، وتغنى بعض فساق العلم بقوله «اتركه فى حاله أنت لا تدرى عنه شيئا» ، ثم يتبرك الناس به يتخذونه فى حياته موئلا يؤولون إليه ويستنجدون به فى الملمات ، فإذا مات أسرعوا بنعشه إلى مكان معين يريدون دفنه فيه ، ويقفون بنعشه عند هذا المكان ويقول الناس بعضهم لبعض إن النعش وقف هنا ليدفن هنا ، والملأ الذين عاشوا على النذور التى تعطى لهذا المخبول فى حياته شعروا عند مماته بأن هذا الخير العميم

الذى فاض عليهم فى حياته سينفض عند مماته ، فالأولى لهم أن يدعو بولايته وقطبانيته وأنه يقول للشيء كن فيكون كما يفتى علماء السوء من المرتزقة الذين باعوا الحياة الآخرة بثمن بخس فى هذه الدنيا .

انظر حولك فى القرى والمدن ترى آلاف الأضرحة ، وفكر قليلا أو كثيرا كيف كان يعيش هذا الولي المزعوم ، تجد فى حياته التفاهة والقذارة والتسول وفرض الضرائب على الناس «العادة» . ويغنى منشد الحضرة العادة يارسول الله .

ولأضرب لك مثلا حيا تراه في كل يوم فى مولد البدوى ، إنهم يحتفلون بمولده فيلبس شيخ الطريقة البدوية الأكبر لباسه ويتشكل بشكله فهى تمثيلية يريدون بها تمجيد البدوى ، ولكن الله يفضحهم من حيث لا يشعرون ، فيظهر شيخ الطريق الأحمدية وعليه بشت كان يلبسه البدوى وحول عنقه مسبحة طويلة لا أدرى عدد حباتها ومعه مقرعة كان البدوى يستعملها للهرس ، لقذارته أو لغلبة مرض الصفراء فيه ، وعلى رأسه طاقيه عليها من القذارة الشيء الكثير ، هذا هو البدوى ، قطب الأقطاب والأعطاب ، ومسير السحاب ، وفاتح الأبواب ، والذى كان ينزع إيمان كل من لم يحضر مولده (راجع الكتب التى ألفت فى تاريخ هذا الصوفى أشهرها مؤلفات الدكتور أحمد صبحى مدرس التاريخ بكلية اللغة العربية سابقا واقرأ كتاب سعيد عاشور عن البدوى ، والأستاذ عبداللطيف فهمي عن دولة الدراويش ، واقرأ ماقاله أحبابه من الصوفية مثل الشعرانى فى طبقاته ، وعبدالصمد. وما ألف عن هذا الطوطم من مئات الكتب قديما أو حديثا ولكن القرآن يوضح لنا حقيقة نفسية يجب أن نفهمها قال تعالى فى سورة البقرة : **﴿إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى**

سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾.

لقد تحنث الرسول قبل الرسالة وبعد الرسالة فلم ينطح ولم يشطح ، ولم ينجذب الجذبات الشيطانية الصوفية ، ولم يلبس أسمالا عديدة الألوان ليقال عنه أنه ولى من أولياء الرحمن ولم يقلد غيره في شعائره فقد كانت السبحة يمسكها الرهبان والنصارى فلم يمسكها الرسول تقليدا لهم ، ود خلت هذه السبحة فى العبادة عندنا على يد سيد الطائفة الصوفية الجنيد ، وكان للعلماء وقفات ضدها لأنها تقليد نصرانى بوذى ، وديننا ليس فى حاجة إلى تقليد الأديان الأخرى .

ومن الخطأ الكبير أن يتعمد بعض الفلاسفة الذين تكلموا فيما أخذ به الرسول نفسه فى الجاهلية من التفرد والتحنث والتوحد فى غار حراء أن ذلك كان السبيل إلى نبوته ، كأن النبوة لا تأتى إلا من هذا الطريق أو كأن النبوة درجة يصل إليها الإنسان بشعائر معينة ! .

إن مقام النبوة اختيار من الله لبعض عبيده اختيارا أزليا وليس اختيارا صوفيا ينتقل فيه الصوفى من درجة إلى درجة ، من درجة المريد أو مايسمونه الفقير إلى درجة النقيب إلى الشيخ إلى القطب إلى الغوث ، إلى الوحدة مع الله ، إلى الألوهية ذاتها يقول للشىء كن فيكون .

وحتى نقرأ للشيخ الدردير ، وكان من جملة من تولوا رئاسة الأزهر الشريف ولكن جذبته الصوفية إليها ، فقال فى ورد له علمه لمريديه يقرؤنه ويحفظونه قرآنا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار يناجون الله قائلين : « انشلنى من أوحال التوحيد وزجنى فى بحر الوحدة ، حتى لا أرى ولاأسمع إلا بك » .

لك الله يادردير ؟! ماهى أوحال التوحيد ، إنك أنت الوحل ؟! وليس للتوحيد

أوحال إلا فى أذهانك أنت وبطانات السوء من الصوفية ، ومامعنى أن يزجك فى بحر الوحدة ؟! إن الجنون فنون ، وقديما قيل أصحاب العقول فى راحة ؟! (انظر مجموعة أوراد الصوفية) ليس فقط ورد الدردير هو الذى فيه هذه السوءات بل جميع أورادهم كلها من حمئة واحدة .

لقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة خاصة بعيدا عما كان يرتكبه قومه الذين كانوا يتجهون بالأدعية والشعائر والذبائح والنسك إلى موتاهم فى صورة الأوثان التى أقاموها لهم واعتكفوا حولها ، يناجونها ويطلبون منها ويدعونها وهم فى الوقت نفسه يعرفون الله حق المعرفة اقرأ قوله تعالى فى سورة العنكبوت الآية ٦١ وما بعدها : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون . الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، إن الله بكل شيء عليم . ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون**﴾.

لقد دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدين الخالص ، فغدا فى نظرهم صابئا ، وهو مايحدث اليوم لو دعوت الناس إلى التوحيد الدين الخالص رد عليك كثير من العوام بل والعلماء إنك صابئ ، وهابى تكره الرسول وآل بيت الرسول ، وتكره الأولياء وهم أهل الوصل ، ومسلكوا الطرق للناس ، وهم يجيبون المستنجد بهم فى أقصى الأرض ، كما قال شيخ أحمدى فى الاحتفال بالمولد الأحمدى أمام جمهرة كبيرة من علماء الأوقاف وعلماء الأزهر فلم يبد أحد اعتراضا .

إن أى ولى من أولياء الصوفية قيوم (يعلمماينزل من السماء ومايعرج فيها) فلا تعجب إن رأيت أحدا هنا يستغيث بالمرسى أبو العباس أو بالشاذلى فى الإسكندرية ،

فهما قيومان على هذا الكون مثل البدوى والدسوقى تماما .

وقد ناقشت بعض الذين حملوا العلم فقط فأجابنى أحدهم : إن للأولياء روحانية وملائكة تحمل إليهم طلبات الناس فيقضونها فقلت مادليلك على ذلك فقال قوله تعالى : ﴿ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ فسكت لأن الدليل بعيدا عن المدلول ، فما علاقة أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بأنهم أصبحوا آلهة أو مساعدين لله سبحانه وتعالى ؟!

قال الله تعالى : ﴿ **ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ .

ونحن لا ننكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأخذ نفسه فى تقشف فى المأكل والملبس ، وعكوف على التهجد والعبادة حتى وجه إليه المولى جل جلاله قوله : ﴿ **طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل على الصبر والرضا والشكر ، وليس على الدليل الذى يستدل به القائلون على أن هذه جذور التصوف عند هؤلاء المدافعين عن الصوفية بأنهم مسلمون فإن حياتهم الخاصة والعامة ، وتقسيمهم الشريعة إلى ظاهر وباطن ، وتهجمهم على مقام الألوهية ، وإثباتهم الأنوار الإلهية برفع البراقع عن وجه النساء كما يقول قائلهم زاعما أنه رأى نورا من السماء ....

أبرق بدا من جانب الشرق لامع　　　أم انكشفت عن وجه سلمى البراقع

هل قال النبى صلى الله عليه وسلم أو أحد صحابته فى تفرده وتعبده وجهاده فى العبادة والتحنث مثل ذلك ؟! ولم يحرم الرسول صلى الله عليه وسلم عن

نفسه الطيبات من الرزق ؟! ولا من حسن الثياب فكان عليه الصلاة والسلام يلبس ماوجد إليه من سبيل ، كتانا أو صوفا أو قطنا ، قميصا أو رداء أو إزارا .

ومن العجيب أن يقول أحد فلاسفة الإجتماع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ كثيرا من مبادئ الصوفية فى أدعيته ؟! إن هذا القول غريب !! أى أنه جعل الصوفية أساتذة الرسول ؟!

انظر صاحب كتاب الحياة الروحية فى الإسلام ص٣٠ يقول : « وحسبنا كذلك أن نسجل بعض أدعية الرسول التى تنطوى على المعانى الصوفية ؟ قول غريب عجيب بلاشك ؟! أن يأخذ رسول رب العالمين المعانى الصوفية فيدعو ربه على ضوئها ، ويورد فيلسوف هذا الكتاب كثيرا من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الصفحة بأنها معانى صوفية أى استقى الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعانى وعلى ضوئها دعا الله عز وجل ؟! .

أرأيت أسخف من عقول هؤلاء القوم ، فلا عجب ، فقد سمعت فى التلفاز أحد أساتذة الجامعة كان تلميذا معى فى الخمسينات يقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان صوفيا ؟!!

وبعد ، فإن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانت حافلة بالإقبال على الله وعلى الورع والتقشف والإعراض عن الدنيا ، بعد أن ملكوها فى أيديهم ثم آثروا غيرها عليها قال تعالى : **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا﴾** .

كان أبو بكر يطوى ستة أيام و كان لايزيد عن ثوب واحد ، ولكن ألا يعلم من يريد العلم أن الغزوات كانت تغزو وأغلب نفقاتها من ماله ، وفى إحدى الغزوات

يسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من الذهب يحملها بين يديه فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم :« ماذا أبقيت لعيالك ؟! قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، والحديث عن أبي بكر يجرنا إلى الحديث عن عمر بن الخطاب الذى وصفه النبي بقوله : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » ، وكان عثمان بن عفان رضى الله على هذا الدأب وله من الأموال والمتاع مالا قبل للحاسبين بعدده ؟!

هذه حياة الصحابة لم يخرجوا عن مقام الإحسان فى العبادة ، لم ينطحوا ولم يشطحوا ، ولم يقولوا بالعلم الباطن ، واللدنى ، والقبض والبسط ، والجمع وجمع الجمع ، والظاهر والباطن ، والكشف والإشراق ، ورؤية الله ، كما ادعت الصوفية رابعة العدوية ، وكانت لها مدرسة تؤمن بما تقول .

وقد نسب بعض المدافعين عن كلمة صوفى من أنها من أهل الصفة ؟! وأهل الصفة ، مادعى أحدهم ، كما ادعى أوليائهم فى كبد الحقيقة ، ادعاءات الحلاج ثم أضرابه الذين وقف لهم خلفاء المرسلين بالعقاب الشديد قطعا لشأفتهم لأنهم تركوا كتاب الله وسنة رسوله وحياة الصحابة إلى أقوال كفرية أتت إليهم فى صورة الفلسفة ، وللفلسفة لذة يطيب لها العقل ويلعب فيها الهوى ، ولا يكون الهوى دينا أبدا ، وعلى ذلك فأذواق الصوفية هوى نفسى ؟! .

فلم يعرف عن أهل الصفة هذه الشطحات الهيستيرية الصوفية التى سأتحدث عنها فى مؤلفى هذا بمشيئة الله .

مهما يقال عن تميم الدارى ، وأبى ذر الغفارى ، وحذيفة بن اليمان و غيرهم فهم لم يفلسفوا بفلسفة وحدة الوجود التى جاءت فى أشعار الصوفية وسلوكهم ،

إن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يتدنسوا بأدناس الصوفية ، فلا داعي لأن يقول المدافعون عن الصوفية إنهم اتخذوا علمهم من الصحابة والتابعين ، والحقيقة غير ذلك **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾**.

وأخيرا بعد عرض النصوص القرآنية والسنة الصحيحة إن القول بأن مصدر التصوف إسلامي محض قول يستره النفاق أو الجدال بالتي هي أشر ، ونحن ندعو لمن سبقنا من أصحاب الرسالة تحت قوله تعالى : **﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون بنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾** .

ونحن نعرف جيدا قول الرسول في حديث مشهور معناه « **ستفترق أمتي على على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا ما أنا عليه أنا وأصحابي** » ، والقرآن الكريم يحذر من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته قال تعالى في (سورة النساء آية ١١٥ ومابعدها) **﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا . إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا . إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا...﴾** .

والآن نبحث عن مصدر آخر للتصوف العربي وننظر في مذاهب الهنود ونقول :

نظرية المصدر الهندي :

لقد ورد في بض الكتب الهندية عقائد وأدعية وأناشيد وكذا مايصطنعه فقراء الهنود من طرق العبادة والذكر وجهاد النفس لدرجة اعدام حسها .

وكلمة فقراء أدخلتها الصوفية على أنفسهم تشبها بالهنود ، ومن الكتب التى يمكن الرجوع إليها لمعرفة تأثير فلسفة الصوفية الهندية على الصوفية العربية كتاب «تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة» لأبى الريحان البيرونى سنة ١٠٤٨م ، وقد وازن فى كتابه هذا عن أوجه الشبه بين عقائد اليهود وحكمتهم وأذواق الصوفية المسلمين .

فمن الأشياء التى حققها البيرونى بين أوجه التشابه بين صوفية المسلمين يقولون بأن المتصرف بكليته إلى العلة الأولى يتحد بها عند ترك الوسائط وخلع العلائق والعوائق « تحقيق ماللهند من مقولة ص١٦ » يقولون بالاتحاد مع الله كما يقول متصوفة المسلمين بذلك كما جاء فى أشعار ابن الفارض وأضرابه .

ومنها القول بالتناسخ ، وهو من أخص خصائص النحلة الهندية حتى أنه من لم ينتحل بها لم يعد من جملتها ، وأخذ الصوفية منهم هذا المبدأ وأنهم يجيزون حلول الحق سبحانه وتعالى فى الأمكنة كالسماء والعرش والكرسى و ... ، ومنهم من يجيز حلوله سبحانه وتعالى فى جميع العالم والحيوان والشجر والجماد ، ويعبرون عن ذلك بالظهور الكلى ، ولعل ابن عربى كان متأثرا بهذا المبدأ حينما قال :

وماالكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا فى صورة إنسان

وقد أشارت الصوفية إلى أن العارف إذا وصل إلى إلى مقام المعرفة يحصل له روحان : قديمة لا يجرى عليها غير واختلاف بها يعلم الغيب ويعقل المعجز ، وأخرى بشرية للتغير والتكوين .

ومنها اتحاد النفس بمعقولها ، أى إلى الإتحاد بالله سبحانه ، وهذا مابدا فى قول الصوفية : يقول أحدهم أنا الحق ، وكقول أبى بكر الشيلى : اخلع الكل تصل إليه

بالكلية فتكون ولا تكون ، وكجواب أبي يزيد البسطامي وقد سئل بما نلت ما نلت؟ قال : إني انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ثم نظرت إلى ذاتي فإذا أنا هو ....

أي أن أهم العقائد الهندية التي لعبت دورا هاما في التصوف الإسلامي عقيدة تناسخ الأرواح ، وما تسلم إليه من مذهب الحلول ووحدة الوجود ، وفي اتحاد العقل والعاقل والمعقول بحيث يصر هذا كله شيئا واحدا .

وللهنود كتاب مقدس يسمونه « الفيدانا » يشتمل على أوراد تعبدية وأناشيد ورقى سحرية ، وأخص مسائل هذا الكتاب وحدة الوجود وانكار الوجود في كل الكائنات إلا مابها من عنصر إلهي مستمد من الإله « براهما » إن براهما في كل شيء ، وإنما هو كل شيء .

وما يقوله جوالدزيهر عن إبراهيم بن أدهم من أئمة الصوفية أنه كان من الأمراء ، وآثر حياة الزهد ، إن قصته هي قصة « بوذا » وإن استعمال المسابح مستمد من البوذية (وأكبر مسبحة في التصوف الإسلامي مسبحة البدوي والله أعلم) والمعروف أن البوذية شاعت في بلاد فارس وماوراء النهر ، وكان لها تأثير على التصوف الإسلامي لاسيما أن هناك تشابها بين « النيرفانا » وبين الغناء الصوفي ....

ولقد كان اشتراك التصوف الإسلامي مع الديانة البراهمية في عقيدة وحدة الوجود ، وهذه العقيدة تعارض قضية التوحيد التي بنى عليها الإسلام القاعدة الأولى شهادة التوحيد .

النظرية الفارسية :

كان هناك صلات اجتماعية وثقافية ودينية بين الفرس والجزيرة العربية قديما ، ونستطيع أن نتبين فى وضوح أن العقائد الفارسية أثرت فى صورة بالغة فى التفكير الصوفى الإسلامى .

وفى العصر العباسى بنوع خاص كان حافلا بكثير من حملة العلم والنحويين والحديث والتفسير وعلم الكلام .

إن الصلات الإجتماعية والسياسية كانت من القوة ، ولا ننسى الأئمة الكبار فى الفقه كأبى حنيفة وغيره .

ولا يمكن إنكار دور الفرس من آثار قيمة فى الحياة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى كان فريق كبير من شيوخ الصوفية ، ومن هؤلاء معروف الكرخى المتوفى سنة ٢٠٠هـ وأبو يزيد البسطامى ، وكان هناك أبو سليمان الدارانى عربيا عراقيا ، وذو النون المصرى .

على أن ثمة شبها ظاهرا بين بعض العقائد والنزعات الفارسية وبين بعض التعاليم والمذاهب الصوفية الإسلامية .

فالزهد فى التصوف الإسلامى يشبه الزهد فى الديانة « المانوية » كما يشبه النهى عن ذبح الحيوان فى الديانة الزركية ، وعقائد الشيعة ومغالاتهم فى حق الملوك ، الحق الإلهى ، وفى حلول الله فى الإمام ، وقد شاعت هذه العقائد بين المسلمين من تراث الفرس القديم واعتنقها الشيعة والصوفية ، وظهر مذهب الصوفية فى الحقيقة المحمدية وأنها أول مخلوق خلقه الله ، ومنه تفرعت المخلوقات الأخرى علوية وسفلية هذه العقيدة أخذت من الكتاب الفارسى « زندافستا » ، ومن العقائد

الفارسية فى ديانة زرادشت أن هرمز إله الخير لم يخلق الكون بما فيه خلقا مباشرا بل خلقه بواسطة الكلمة الإلهية .

وهكذا اختلطت العقائد المختلفة اشتركت المزدكية مع المانوية والزرادشتية ، وظهرت فى سلوك الصوفية .

التصوف عند النصارى قديما وحديثا :

ذكرت أن التصوف بصوره القديمة المصرية واليونانية والهندية كان له تأثير ظاهر فى التصوف الإسلامى ، وإن القول الذى يحتج به الصوفية ، بأنهم فى مقام الإحسان قول لا يؤيده ظاهر هؤلاء الناس ولا أخلاقهم ولا سلوكهم ولا شعائرهم ، إنها شعائر وثنية ، حاربها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يوم القيامة ، وما الأوثان التى شادوها على أضرحة مشايخهم وزينوها بالذهب والفضة وستائر الحرير ، واحتفالهم بموالدهم ، وبين زغاريد النساء ، ورقص الصوفية والإباحية المعروفة في هذه الأحفال إلا دليل قوى على أن الصوفية التى يدعون أنها إسلامية ، وأنها نشأت من الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام باطل ، ودفاع عن الوثنية التى انتشرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى تمثلت أولا فى الردة فى الجزيرة العربية ، ثم قضى أبو بكر رضى الله عنه وصحبه عليها ، ولكن أفعى الصوفية وإن كان جلدها ناعم الملمس ففى أنيابها السم الناقع ، ذلك هو التظاهر بالسلوك الإسلامى الفطرة التى نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ، أبت طبيعة الناس إلا العودة إلى الوثنية تحقيقا لوعد إبليس ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ تحت هذه

الحقيقة الوثنية إذا درست تاريخ الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فسترى كيف لعبت النفوس الخبيثة بالدين الحنيف .

وأعود إلى موضوعى فأقول إن الصوفية قد ترجع إلى مصادر نصرانية ، وإن كنت قد شرحت سابقا أن التصوف فى صورته الفلسفية الأولى من قدماء المصريين هم أول فلاسفة التثليث ، أثر فى جميع عقائد البشر ، فدخلت عقيدة التثليث أغلب أديان الأرض ، وبالأولى فإن الصوفية الحديثة نادت بها كما قال شيخ من شيخهم

تثلث محبوبى وقد كان واحدا وصير الأقنوم بالذات أقنما

ومما يلاحظ أن هناك تشابها كبيرا بين رهبان الأديرة وصوفية الرباطات ، والخلوات، ومايسمونه الزهد والعزلة وقد ناقش كتاب تلبيس إبليس لابن قيم الجوزية هذا الموضوع فى عصره نقاشا مقنعا قوى الحجة .

هناك أيضا أوجه شبه بين حياة الزهاد الصوفية والرهبان فى خلواتهم وصوامعهم وتعاليمهم وفنون فى الرياضة والتعبد حتى فى اللباس .

وقد كان للباحثين المستشرقين أمثال جولدزيهر ، ونيكله وأندريه وأوليرى ، وكريمر ، القدم المعلى فى أبحاثهم حول هذه الصلات المسيحية التى أنجبت نوعا من العقيدة النصرانية أشاعها الصوفية وآمنوا بها ، أهمها نظرية اللاهوت والناسوت ، وقد قرأت فى إحدى المجلات المصرية أظنها مجلة الإذاعة منذ سنة أو أكثر ، بحثا طريفا يقول كاتبه أن شيخه الشاذلى لما مات ، هو نفسه الذى دفن نفسه أى أن جزءه اللاهوتى هو الذى دفن جزءه الناسوتى ، واستغربت فقد كنت أقرأ ذلك وأضرابه فى مجلات الصوفية وأسمعه وأسمع أمثاله من شيوخ الصوفية فكيف تقتنع مجلة الإذاعة وهى مجلة الفنون والدعوة إليها إلى هذه الخرافات الصوفية الوثنية ؟!

ولكنى اؤمن إيمانا صدقا وعدلا أن الصوفية والإباحية صنوان كلاهما يؤيد الآخر وإن كنت أيها القارئ تصفنى بالكذب فعليك بمراجعة تواليف الشعرانى « قبره فى باب الشعرية » اقرأ الطبقات له فسترى العجب العجاب ، فإن أردت أن تكون وليا مثلهم فسر على دربهم فإنك سترى الكرامات الشيطانية التى يظن بعض مرضى القلوب أنها كرامات ربانية .

كان كثير من هؤلاء النصارى فى جزيرة العرب منهم قسيسون ورهبان وكانوا يؤثرون الفقر وعدم الضرب فى الأرض لطلب الرزق .

ويزعم بعض المستشرقين المنصفين « جولدزيهر » أن كثيرا من الأحاديث التى تروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن تفضيل الفقر على الغنى أغلبها من وضع النصارى وإن كانوا فى الحقيقة ليسوا بفقراء لكنهم يضحكون على ذقون الأغبياء ويسمون أنفسهم أهل التجرد والفقر .

حتى لباس الصوفية من لبس الصوف ، نصرانى ، فقد كان لباس الرهبان ، حتى السبحة مصدرها نصرانى ؟!! .

وكثيرا ماقرأت فى كتب الصوفية فيها تمجيد للاتصال بالرهبان ، حتى أبو حامد الغزالى فى إحياء علوم الدين لم ينس هذا الهراء ، انظر ماتقوله كتب الصوفية رواية عن السيد المسيح : إنه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة . فقال لهم : ماأنتم ؟ فقالوا نحن عباد الله ، قال : لأى شىء تعبدتم ؟ قالوا : خوفا من النار . فقال حق على الله أن يؤمنكم ماخفتم ، ثم جاوزهم ومر بآخرين أشد عبادة منهم فقال : لأى شىء تعبدتم ؟ قالوا شوقا إلى الجنان ، وما أعد فيها لأوليائه ؛ فنحن نرجو الله ، فقال على الله حق أن يعطيكم مارجوتم . ثم جاوزهم ومر بآخرين

يتعبدون ، فقال : ما أنتم قالوا : نحن المحبون لله ، لم نعبده خوفا من ناره ، ولا شوقا إلي جنته . ولكن حبا له ، وتعظيما لجلاله . فقال : أنتم أولياء الله حقا ، معكم أمرت أن أقيم ، فأقام بين أظهرهم . (راجع قوت القلوب لأبى طالب المكى ، واحياء علوم الدين للغزالى ، وشهيدة العشق الإلهى للدكتور بدوى) .

وفي رأيي والله أعلم أن هذه فرية من أكاذيب الصوفية افتروها على المسيح رسول الله ؟! ، والكذب عند الصوفية مشهور مشروع ، فهم أكذب الناس بدليل الأحاديث الكثيرة التي وضعوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشرت في وسط كتبهم ، ولا سيما الكتب الدائرة بين عوام الناس مثل دلائل الخيرات ، والمجموعة المباركة ، وقصة الإسراء والمعراج المعزوة لابن عباس ، وآلاف الأحاديث التي وقف لها العلماء بالتكذيب مثل الحافظ العراقي على الإحياء ، ومجموعة الأحاديث الموضوعة للشوكاني ، وفتح القدير للمناوى .

ومن كذبهم أيضا هذه الروايات التي يزعمونها ، من أن الرسول يحضر إليهم مناما ويشرع لهم (صلى الله عليه وسلم) .

ومن كذبهم أيضا ادعاءاتهم بأن شيوخهم يذهبون إلي قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه يدا بيد في قبره ، من ذلك الخرافة الصوفية المنتشرة انتشار النار في الهشيم ، أن الصوفي أحمد الرفاعي ذهب إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبكى وقال مناجيا الرسول :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

فالآن دولة الأشباح قد حضرت فامدد يديك كي تحظى بها شفتي

فمد الرسول يده من القبر الشريف ، فقبلها أحمد الرفاعي ، وتقول هذه الفرية

الصوفية أنه شاهد هذا المنظر أكثر من سبعة آلاف زائر ...

ومن أكاذيبهم ، في مقدمة كتاب احياء علوم الدين يقولون أن أحد العلماء اعترض عبارات هذا الكتاب ، **فأقام عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حد القذف** منامًا !! .

ومن ذلك في كتاب ابن عربي نصوص الحكم يكذب ويقول إنه عرضه على الرسول صلى الله عليه وسلم منامًا ، فأقر كل ماجاء في الكتاب ... وليس في كتب ابن عربي إلا الكفر الصريح ، فاقرأها أيها القارئ إن شئت وقارن بينها وبين كتاب ربك الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة **﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟﴾** .

أخي ، احذر الصوفية قديمًا وحديثًا ، فوالله إنهم رسل إبليس ، ولا يغرنك نعومة الملمس فإن السم الناقع في الأنياب .

إنهم كما يدعون يحبون الله لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته ، وقد سبق أن ذكرت لك قول ابن الفارض حينما عرضت عليه الجنة ، فإنه خاطب الله بقوله :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ماقد رأيت فقد ضيعت أيامي

وأسألك أيها القارئ المؤمن :

هل قال الرسول مثل هذه الترهات ؟ ألم يطلب عند موته الرفيق الأعلى ؟

قاتل الله الصوفية ، قديمًا وحديثًا ، ولعلك قرأت أشعار رابعة العدوية وهي قطب من أقطابهم الكبار ، اقرأ ياأخي لترى بنفسك حتى لا تكذبني ؟!

ولو رجعنا إلى الوراء قليلًا ، في الجاهلية لرأينا كيف امتلأت الجزيرة العربية

بالمتصوفة من النصارى ومن تنسك منهم وبنى الأديرة ، مثل حنظلة الطائى ، وكذلك قيل عن قيس بن ساعدة الإيادى ، كان يعيش فى القفار ولا يسكن الديار، يأنس بالوحوش والهوام ، كما يقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

ويروى عن أمية بن أبى الصلت أنه لبس المسوح تعبدا ، كان هناك اصطباغ بصفة الزهد فى الدنيا ، والنظر فى الكون ، وكان هناك فى أسواق العرب من يتحدث عن البعث والنشور والجنة والنار ، وسواء أكانوا فيها مقلدين للنصارى أو اجتهادات فطرية جعلتهم يرفضون هذه الدنيا ويحيون حياة خشنة ، لاحظ فيها من ترف ولا أثر لها منعومة ورغد ، فلسنا نميل إلى القول بأن فى ذلك نوعا من الطقوس الدينية مايجعله مروقا بعيدا عن الفطرة الإسلامية التى فطر الله الناس عليها ، إنها اجتهادات فردية فى جزيرة العرب تعددت فيها العقائد فى الجاهلية ، وإذا سادت الإتجاه إلى الأصنام والأنصاب واعتبارها شركاء لله فهو اتجاه للتصوف ، فما التصوف فى حقيقة جوهره كما وضحت سابقا إلا البحث فى ذات الله نفسه ، وقد حث الدين الإسلامى على البعد عن ذات الله ، ورضى بالبحث عن الله لعبادته لا لوصف كيفيته وماهيته ؟! وما تفرقت الأديان فى الأمم إلا من هذا الاتجاه الإبليسى الصوفى ، وما أرسلت الرسل من بداية خلق آدم إلا لتوجيه الناس إلى عبادة قيوم هذا الكون لا للتفكير فى ذاته ، كما قال بعض الإباحيين ، ويتغنى بها المغنون:

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست أدرى !!! .

لو كان في عقل هذا القائل ذرة من الإيمان لعلم أنه مخلوق مكلف ، خلقه باريء هذا الكون لمهمة عليه أن يؤديها ، ولم يخلق الله هذا الكون عبثا ؟!

وكان في الجاهلية قوم يدعون بني صوفة ، وكان ينسب إليه النسك وكان من عادة العرب في الجاهلية لا سيما مفكروهم الانقطاع يوما في السنة يقضونه بعيدا عن الناس في خلوة يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء والاستعانة ، فإن أعينوا نسبوا إليها التصريف في الكون ، ولم يعلموا أن باريء هذا الكون هو الفاعل المختار فيه ، وأن فطرته التي فطر الناس عليها اقتضت أن يعز من يشاء ويذل من يشاء ، فهو الفاعل المختار ، وليس اتجاههم للأوثان ، أو لأرباب الأوثان آتيا بخير أو بشر فالله هو الفاعل المختار .

ولبس الصوف يرجع إلى أصل نصراني في الجزيرة العربية ، وإن روت كثير من الأخبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لبسه ، فهو عليه الصلاة والسلام لم يلبسه كنسيكة معينة ، أو شعار لفكرة معينة ، بل لبسه كما لبس الألبسة المختلفة من اليمن أومصر أوغيرهما ، لبس ذلك كعادة ، ولم يلبس لتشجيع تقليد وثني أو صوفي أو رهباني أ و غيره ، ونرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في رثائه لرسول الله :(بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لولم تجالس إلا كفؤا لك ماوكلتنا : فقد والله جالستنا، ونكحت إلينا ، وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ، وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض ، ولعقت أصابعك تواضعا منك).

ولكن إذ جعل بعض الأقوام لبس الصوف شعيرة لهم ، أو علامة مميزة يتعارفون بها ، فمن الخطأ اعتبار هذه العلامة مقدسة والخروج عليها خروج على الشريعة ؟!

وقد جرت العادة أن لكل قوم لباسا خاصا بل كل فئة لها مايميزها فمثلا لباس

ضباط الجيش ، غير لباس ضباط البوليس ، ولباس العلماء ، غير لباس الوجهاء من الناس غير لباس الخنافس من الشباب ؟.

ونرى أن من الزهاد والصوفية من كان يتأثر بحياة الرهبان حبا فيهم فيحيا حياتهم نسكا ولباسا وشعارا ، كما جاء في كتاب الكامل للمبرد ، ففيه أن راهبين قدما من الشام إلى البصرة فقال أحدهما للآخر : ألا نذهب لزيارة الحسن البصرى ، فإن حياته كالمسيح ! ومنه أيضا ماذكره الذهبي من أن نصر الدين الطوسى صاحب كتاب «اللمع في التصوف» أنه خرج مع عبدالله الروزبارى ليلقيا راهبا كان في وقتهما ، فلما أقبلا عليه في ديره ، سألاه : ماالذى حبسك هكذا ؟ قال الراهب : أسرتني حلاوة قول الناس لى ياراهب .

من هذا نجد صلة وثيقة بين رهبان النصارى وبين حياة الصوفية والرهبان وتبادل الإعجاب بينهما ، كان ذلك في الإسلام .

وأكبر الظن أن الزهاد أو الصوفية الذين اقتدوا بحياة الرهبان ، ضمنوا أقوالا فيها إعجاب بالرهبان ،وبعناصر مسيحية ، لعل لهم العذر فقد مدح القرآن الكريم بعضهم ، ولكننا نلاحظ أنما مدح الذين أسلموا منهم ولم يمدح الكل ، كما جاء في قول الله تعالى في سورة المائدة في قوله تعالى الاية ٨٢ ومابعدها : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون** ﴾ .

وأرى كثيرا من اخواننا العلماء والوعاظ والأئمة والساسة الذين يريدون أن يتقربوا إلى النصارى يستدلون بهذه الآية عندما يكتبون أو يتكلمون أو يعظون ، ويتركون

بقيتها ، كمن يقولون ﴿ **لا تقربوا الصلاة** ﴾ ويترك قوله تعالى ﴿ **وأنتم سكارى** ﴾ وهذه الآية نزلت في وفد اليمن من نصارى نجران الذين آمنوا بالرسالة المحمدية ، وبقية الآية قوله تعالى ﴿ **وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ فليحذر الذين يتقربون من النصارى الذين يؤذون الله ورسوله حينما يريدون أن يرضوهم فيقفون عند نصف العبارة ولا يكملونها ، ويكونون مثل الذين عاتبوا أحد السكارى على سكره فقال :

لم يقل الله ويل للذين سكروا   بل قال ويل للمصلين

وإذا وصفنا التصوف بالمروق ، فإننا نعد أن الفقر والزهد فى الدنيا ليس ذلك من التصوف الممقوت ، وإنما هى عادات بعض الناس قد تكون مرذولة ، ولنا فيها رأى : إننا لا نحب أن نترك هذه الدنيا ونعيش فقراء عالة على غيرنا من الأغنياء فيملكون الحياة ويملكوننا بأيديهم ، كما فعلت الدول القوية فى الدول الضعيفة . والله سبحانه وتعالى يشير فى آيات كثيرة إلى التمكين فى الأرض لا الهروب منها كما يريد المتصوفون من الناس .

وما جاء فى الآيات الكريمة وفى بعض الأحاديث النبوية من رفض هذه الحياة ، فالمقصود الحياة الخبيثة لا الحياة الطيبة ، ونرى ذلك واضحا فى حديث الرسول كما جاء فى البخارى : « **إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها** » ، الرسول يخاف علينا من زهرة الحياة الدنيا وزينتها تلك التى تدعونا إلى نسيان الله ونسيان واجباتنا نحو التمكين فى الأرض حتى تظهر الأمة المحمدية على كل الأمم ، كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الصف الاية ٩ ومابعدها : ﴿ **هو**

الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وكيف يظهر الدين على العالم كله ، وأصحابه لا يملكون شروى نقير ، فقراء تراهم ، شعثا غبرا يستخفون فى الرباطات والخلوات ، كما فعل الإمام الغزالى أول ماتخذ طريق الصوفية طريقا له ، اقرأ ذلك فى مقدمة كتابه احياء علوم الدين الجزء الأول ، وقلنا أنه أصيب بنوع من الأمراض النفسية يسمى العضل ، فلما أفاق من هذا المرض وكان سنه فى العشرين أو أكثر عادت إليه نفسه الطيبة فملأ الأرض منها ماهو مقبول ، ومنها ماهو ليس مقبول ، وتعرض هذا الرجل لنقدات مضنية ، حتى قيل عنه أنه دخل فى بطن الفلسفة ، فأراد الخروج منها فلم يقدر ، ودافع عنه فى كتاب مايجوز الخلاف عليه الشيخ عبدالجليل عيسى فى أنه رجع إلى قول السلف بعد اغراقه فى حمأة الفلسفة الميتافيزم ، وقد قرأت كثيرا من كتبه وشعرت بالراحة النفسية فى كتابه تهافت الفلاسفة ، غفر الله لنا وله .

ومن العجيب ، أن يقول أحد المؤمنين بالفقر أن الله مدح الفقراء وأعلى شأنهم فى قوله :﴿ **للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ...﴾** (سورة البقرة : آية ٢٧٣) .

نعم صدق الله العظيم ، فهم قوم لا يستطيعون الضرب فى الأرض ، لا زراعة ولا تجارة لايستطيعون ، فهناك عذر لهم ، وليس فى مكنتهم السعى فى الأرض وابتغاء فضل الله ، كما جاء فى سورة الجمعة ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾** لذلك مدحهم .

يقولون أن النبى صلى الله عليه وسلم اثر الفقر بينما القرآن الكريم يقول ﴿**ووجدك عائلا فأغنى ﴾** إنما آثر هؤلاء القوم من الصحابة بعد أن ملكوا الدنيا أن

يؤثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، آثروا أن يعيشوا كما يعيش رجل لا يجد رزقه ، أراد الله سبحانه وتعالى امتحانه بتقتير الرزق عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر ، إنما أن يتعمد الفقر بالزهد في الحياة ، ترك السعي فيها ، وبما يسمونه العزلة ، والعيش في الخوانق والرباطات ليأكل من صدقات الناس فهذا أمر صوفي لا أمر إسلامي .... ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم في أدعية له كثيرة «**اللهم اغنني بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك** » ويقول :«**اللهم أسألك التقى والغنى** » فهو لم يرد الغنى ليبغى على الناس ويخرج في زينة كما كان يخرج قارون ، إنما يريد الغنى ليعتز الإسلام والمسلمين ولا يكونوا دراويش كما يريد التصوف ؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالله من الفقر إلا لله .

إن الذى نأخذه على الصوفية بعض الألفاظ والعبارات الى هى من أصل نصرانى مثل القول باللاهوت والناسوت ، وحلول الأول فى الثانى ، إذا بلغ هذا درجة معينة من الصفاء الروحي . ومثل القول بالكلمة التى هى فى النصرانية واسطة بين الله والخلق ، والتى قال بها الصوفية فى نظريتهم فى الحقيقة المحمدية ، باعتبارها أول مخلوق خلقه الله ، أو أول تعيين للذات الإلهية فاضت منه بقية التعيينات الأخرى من مادية وروحية .

هذه الآراء النصرانية ظهرت فى التصوف الإسلامى بعد الاختلاط بالنصارى ، لقد أدت المناقشة بين النصارى والمسلمين زن تنتشر عقائد النصارى تحت مظلة التصوف .

لقد شاع الاتحاد بين الرب والعبد ، أو من حلول الرب فى العبد ، أى أنه من المعلوم ، أنه قد تداخلت عقائد نصرانية فى الفكر الإسلامى ، إن لم تكن من تأثر

الفكر الإسلامي بالفكر المسيحي ، فربما من الذين اعتنقوا الإسلام من المسيحيين ، ولم ينسوا عقائدهم الأول ، أو أرادوا بذلك المكر بالفكر الإسلامي .

أما صوفية اليونان

فقد كانت الثقافة اليونانية هي المسيطرة على العقول ، لاسيما في العصر العباسي، وذلك منذ أن فتح الاسكندر مصر ، وعني المسلمون بدراسة الفلسفة الأفلاطونية، أقبلوا عليها يأخذونها من النساطرة واليعاقبة والصابئة ، والوثنيين ، واليهود ، وأتباع زرادشت .

ففي عهد أواخر بني أمية وفي العصر العباسي امتلأ الجو الإسلامي بالعقائد المختلفة ، والآراء الفلسفية ، والأبحاث العلمية .

وظهرت فكرة العلم الباطن هو التصوف ، ضريب علم الظاهر هو الفقه ، وقد تأثر الصوفية بأتباع أفلاطون وأفلاطين ، وكان لأفلاطين هذا (أو اسمه أفلوطين) مدرسة عرفت بمدرسة أفلوطين ، وأطلق عليها اسم مذهب الاسكندرانيين ، وكانت في تلك المدرسة وأضرابها تدرس الأفلاطونية الخلصة ، والأفلاطونية الممزوجة بعناصر آراء فيثاغورس ، ويدرسون مذاهب الرواقيين من أهل عذاب .

ولقد وجد الصوفيون في هذه المدارس مآربهم يشربون منها ويروون شجرة أذواقهم ، ومواجيدهم الباطنية ، ومكاشفاتهم ، وقامت الصوفية بفكرة جديدة ـ مؤداها ـ أن الحقيقة العليا لا تدرك بالفكر ، وإنما تدرك بالمشاهدة ، وأن المعرفة الحقيقية لا تحصل عن طريق الحس أو العقل بل هي تحصل بنور يقذفه الله في قلب العبد ، بعد أن يكون قد خلص من شوائب نفسه ، واستغرق في الذات الإلهية ، استغراقا تزول منه التفرقة (أي الإتحاد بالله سبحانه وتعالى أو الحلول بذاته سبحانه) . إنه

مايعرف بالجمع وجمع الجمع عند الصوفية يرددونهما فى أورادهم يقولون : «مولاى بسر الجمع وجمع الجمع» هذه النظرية الصوفية ، أخذت من الفكرة الأفلاطونية «الوثنية» ومن هذه النظرية الصوفية اتخذ الصوفية كثيرا من أذواقهم ومشاهداتهم .

والمتأمل في مذاهب الصوفية في وحدة الوجود يلاحظ أنها من عناصر الفيض الأفلاطوني ـ أو الأفلوطينى ـ هذه الآراء رددها ابن عربى فى وحدته الوجودية ، وفي نظريته في الحقيقة المحمدية التي هى فيض من الذات الإلهية أو مجلى الذات الإلهية .

وعند عمر بن الفارض فى وحدته الشهودية ، وفى مذهبه فى القطبية المحمدية ، وعند شهاب الدين السهروردى ، فى حكمته الاشراقية التي يجعل فيها الله نور الأنوار .

وأخيرا ...، قد يعارض بعض الباحثين تأثر الفكر الإسلامى بالفكر الوثني القديم، ويقول أن ذلك مجرد تشابه ليس إلا . ويقول إن مصدر التصوف الإسلامى إسلاميا محضا ، وقد سبقت أن عارضت هذه الفكرة بما قدمته من الأدلة على تداخل الفكر الوثنى صراحة دون مواربة في العقيدة الإسلامية .

ومع ادعاء بعض الناس بأنه فكر إسلامي محض ، وأنه نشأ بعيدا عن عن الأفكار الدخيلة ، ولكن واقع الصوفية يخالف ذلك مخالفة صريحة وقد صدق الشاعر العربى إذ قال :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم يتزود

ويقول بعض المدافعين عن الصوفية ، إنه مذهب روحي ، وطرق لرياضة النفس ،

ووسائل تعين على تصفيتها ، وهو مذهب به يكشفون الحقائق ويعرفون الدقائق ، ويفسرون الوجود ، وأن بعض الأقوال الأجنبية تسربت إليه ، وخالطته فأفسدته ، وعلى هذا فنحن مع المصدر الإسلامى ، فإن كان التصوف لم يمرق بعيدا عن الفكر الإسلامى فمرحبا به ، ولكن هذا خالف وتضاد مع الوحدانية بألفاظه المعسولة فماذا نقول بعد ذلك ؟ ، نقول كما قال الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم فى سورة الأنعام الأية ١٦١ ومابعدها ﴿ **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ......** ﴾ .

هل هذا الصراط المستقيم ظهر فى الصوفية وفى نسكهم؟! .

أم ظهرت أشياء أخرى أقرب إلى الوثنية .!!

أعد قراءة ماكتبته ، وكن معى ، وأنا أزيد هذا الموضوع بحثا لنصل إلى مايريده هؤلاء القوم .

إنهم يعبدون القبور !!

وعلى ضوء الاتهام رأيت أن أورد حجة قوية ضد هذه العبادة نشرتها احدى الجرائد المصرية بقلم العلامة أبو الوفا درويش ، ومما جاء فى مقاله هذا ، وتعليقنا عليه :

احتفل أمس بتغطية ضريح السيدة زينب حفيدة الرسول بالكسوة الفضية الموشاة بالذهب ، وقد شهد الحفل فريق كبير من رجال السلك السياسى .....الخ .

والتعليق على ذلك أن الضريح تعددت عليه الكساوى المهداة من الأمم التى تسمى نفسها أمما إسلامية ، ونحن لا ننسى احتفال طائفة البهرة بوضع أنواع من الديباج والخزرج الموشى بالذهب والفضة على هذا القبر ، وإقامة مقصورات من الآس والعاج تلمع لمعان النور احتفاء بصاحبة الضريح وجلبا لنفوس الناس الذين تستهويهم هذه المناظر فيستغيثون بها ويطلبون منها مايطلب من الله كما هو حادث الآن .

يقول العلامة أبو الوفا محمد درويش فى مقال له نقتطف منه بعض أزهار التوحيد :

ياحسرة على عباد القبور ، لا يزالون حتى فى هذه العصور - عصور العلم والنور - صرعى الأوهام وأسرى الأحلام ، وعبيد الضلالات ، وأسرى الخرافات .

فريق من رجال السلك السياسى ، وكبار الموظفين يشهدون حفلا هو إلى الوثنية أقرب منه إلى الإسلام ، ويسهمون فيما احتمله مقدم الكسوة من الذنوب والآثام .

ثم يقول الشيخ الفاضل : لقد وضعت الأحاديث الكاذبة ابتغاء مرضاة السادة ، وانتصارا لطائفة سياسية دون أخرى ، وأصدرت الفتاوى الباطلة طمعا فى الحظوة لدى السادة الكبار من الحاكمين ورجال السياسة . وهانحن أولاء نرى رجال السياسة يشهدون حفلا ينكره الدين ، ولا يرضاه الإسلام ؟!

ويقول : إننا نحب السيدة زينب حفيدة الرسول الحبيب بكل قلوبنا ونجلها ، ونقدر المحنة التى أصابتها فى شقيقها ريحانة رسول الله وسيد شباب الجنة ، ونعرف لها صبرها واحتسابها ، ولكننا لانحب أن يتخذ قبرها وثنا يعبد !!

ويقول : إن ضريح السيدة زينب لم يشك البرد ، ولم يتألم من الحر وما كان فى

حاجة إلى كسوة تغطيه من الذهبوالفضة ، ولا من الحرير ،لا الصدف ...الخ .

إن كان هناك ثمة قبر فالصفة الشرعية أن نجعله لاطئا بالأرض كقبور المسلمين، وتزيل اشرافه وتسنيمه كما أمر بذلك سيد المرسلين ، وخاتم النبيين .

ثم يقول أيحسب الجاهلون أن السيدة زينب تغنى عنهم من الله شيئا . فهل هم أحب إليها من أخيها ، شهيد كربلاء ؟ ،

إنها لم تستطع أن تدافع عن أخيها الذى انتابته الرماح ، ومزقت جسمه السيوف، بين سمعها وبصرها ،لوكان لها من الأمر شيء لاستطاعت أن تدفع الشر عن أخيها الذى كان أحب إليها من الناس أجمعين .

كانت تغدو وتروح ، وتسمع وتبصر ، وتسعى وتتحرك ، وتمشى وتبطش ، وتأخذ وتعطى ، ولم تستطع دفاعا عن أخيها .

فكيف تدفع عن غيره بعد أن استأثر بها البلى ، وشل حركتها الموت ، وانضمت على جسدها الهامد جنبات القبور .

يخيل الجهل لعباد القبور أنهم برفع القباب ، ووضع الثياب ، وتشييد القبور ، وإحراق البخور ، يتقربون إلى الله زلفى ، ولا يعلمون أنهم من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

أسألك أيها القارئ من الذى يشيد هذه الأضرحة المزدانة بالذهب والفضة والديباج ؟ ومن الذى جعلها تتوسط المساجد حتى تغرى الناس بأضوائها فيذهبون إليها بقلوبهم ، وقد يصلون فى المسجد بقلوب غافلة لاهية ؟!

من الذى يشجع الطواف حولها ؟ أليسوا هم الصوفية ؟ لقد سمعت فى

التليفزيون حارس ضريح الحسين رضى الله عنه ، موظف من موظفى الأوقاف ، يسمونه عالما يقول أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيز بها الطواف حول مقام الحسين كما يسمونه ....

وليس هو فقط ، فشيخ طريقة البدوى ، يقول في وسط جمع من العلماء إن البدوى يجيب مريده من أقصى الأرض ! كأنه يريد أن يقول **أمّن يجيب المضطر إذا دعاه** ....فالقرآن الكريم والعقيدة الصحيحة تقول هو الله ، ولكن الصوفى الأكبر حارس وثن البدوى له رأى غير ذلك ، وهو رأى مقبول عند العوام والهوام ، وعلماء الضلال ، والأكل والشرب والفت والكوارع ، مدد يا ... بدوى .....

وفى مقال للعلامة عبدالرحمن الوكيل نور الله ضريحه ، وجزاه عن الإسلام خيرا ، هو وأصحابه من أنصار السنة المحمدية يقول ماموجزه فى تعليقه على ابن خلدون ونشر هذا المقال في مجلة الهدى النبوى العدد ٣ صفر سنة ١٣٧٣هـ .

(لم يسم واحدا من الصحابة الصوفية ، ولم يعرف عنهم هذا اللفظ) والصوفية منذ نشأوا ، وحيث كانوا عصابة تنابذ الكتاب والسنة لايفترق خلفهم عن سلفهم ، غير أن بعضهم كان أشد جرؤة من بعض في البيان عن زندقته ووثنيته ، ودليلنا بما سجله التاريخ وما خلفوه في كتبهم من تراث وثنى طافح بالمجوسية الغادرة .

ثم يقول: هل من الشريعةالإسلامية أن الصوفية غياث الخلق ، وأن قبر معروف الكرخى يقسم به على الله ؟ فيستجيب الدعاء ويستشفى به ، كما يزعم القشيرى فى رسالته ، وهو من سلف الصوفية ....

أفى السنة المحمدية أن العزوبة تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة ، وأن تربية الجرو (ابن الكلب) أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكى فى كتابه قوت

القلوب والسهروردى فى عوارفه ونسبا هذه «الغربة المانوية» للرسول صلى الله عليه وسلم : أفى السنة النبوية أن الدين شريعة وحقيقة ؟ أفيها أن المريد لابد له من شيخ ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، أفيها أن قلب المريد بيد الشيخ يصرفه بهواه ، أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله وأن المريد يجب أن يكون بين يدى شيخه كجثة الميت بيد الغاسل ؟ أفيها أن الولاية أفضل من النبوة والرسالة ، أفيها أن أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى ؟ وأن الذرات تسبح بحمد الأولياء فيفهمون تسبيحها ؟ .

تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين ، أو المعتدلين ، كما يقال عنهم ـ أو التصوف الإسلامى ـ كما يسمون أنفسهم فى مجلاتهم .

ثم يقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل رضى الله عنه وأرضاه : يزعمون أن طريقهم طريق الكتاب والسنة .... كلا . بل إنه يحموم وثنية مجوسية ، ثم قل لى لم سموا أنفسهم بالصوفية هذا الاسم الذى لاينسب إلى الإسلام ، ولا إلى لغة القرآن .. إنهم لا يحبون أن يوصفوا بأنهم مسلمون إنهم ينسبون دينهم إلى طواغيتهم لا إلى الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتش فى أسمائهم تجد رفاعية ، أحمدية ، برهانية ، نقشبندية ، شاذلية ، وغير هذا كثير ، وقدوتهم فى الدين وسنتهم لا تستمد إلا من طريق ماانتسبوا إليه ، ولذا تجد كل طائفة تنسب قدرة الله وعلمه إلى شيخها وحده ، ولا ترضى بديلا عن شيخها ، وإن كان فى القبر يتصرف فيه الدود كيف يشاء لا ترضى بديلا عنه ، يقول الشعرانى أن من أشرك بشيخه شيخا آخر فكأنه أشرك بالله وحذرهم طواغيت الصوفية قديما وحديثا من الاعتراض ولو سرا فى القلب على الشيخ وإلا كان المحق والتدمير والإهلاك .

أية فئة هذه التي تصرف الناس عن عبادة الله إلى عبادة الموتى ؟! .

أية فئة هذه التي تعمل على استعباد القلوب لأهوائهم ونزواتهم وتقيم في أعماقها الأصنام تطيف بها آمالهم وأحلامهم ؟ .

ثم يقول : لقد زعم الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ابن عربى فى فصوصه ، وغيرها « الإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء ... يقصد ابن عربي الصوفي، إن كل مخلوق هو الله ، حتى الميكروبات ، والجيف ، والخنازير ، والسارق ، والقاتل ، ....الخ .

الصوفية والعشق الإلهى :

مامعنى كلمة العشق ؟ جاء في لسان العرب العشق فرط الحب ، يكون فى عفاف الحب ودعارته ، وسمى العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة (نوع من الشجر) إذا قطعت ، وأظنها شجرة اللبلاب .

ولا يجوز مطلقا تسمية حب الله بالعشق ، ولكن الصوفية أولئك يكيدون للإسلام كيدا يجهرون بها ، حتى إنهم يسمون شهيدتهم «رابعة العدوية» شهيدة العشق الإلهى ، ويصفون أنفسهم بأنهم يعلمون خطرات من الغيب يقول قائلهم :

قلوب العاشقين لها عيون ترى مالا يراه الناظرون .

ومن الصوفية من أنكر هذا اللقب فى حبه لله فالقشيرى يقول على لسان أبى على الدقاق « لايوصف الحق سبحانه بأنه يعشق » فهل يقتنع الصوفية بهذا ، والقشيرى قطب كبير من أقطابهم ؟!.

إن من الشقاء أن نطلق على الله مالا يطلقه على نفسه ، والقرآن الكريم يوضح هذا فى آياته الكثيرة منها قوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه** ﴾ .

إن لفظ العشق يدل على الشهوة ، فلماذا يطلقه الصوفية على الله ؟ وماذا يريدون بهذا المكر ؟! .

لقد منعت الشريعة الإسلامية أن يطلق على الله سبحانه وتعالى «مهندس الكون» لأن الله سبحانه وتعالى أطلق على نفسه بارئ هذا الكون ، فمابال هؤلاء القوم يحادون الله ؟! ألا يرضيهم القرآن الكريم ! القد لعن الله اليهود عندما حرفوا كلمة (حطة) فمابال الصوفية يستبيحون لأنفسهم تحت مظلة المجاز اللغوى ألفاظا يأباها العقل ؟ إن للمجاز اللغوى شروطا معينة يعرفها دارسوا اللغة العربية ، وليس المجاز اللغوى مباحا لصاحب كل عبارة .

أذكر وأنا صغير كان أحد أقربائى يضاحكنى قائلا :

وجهك ياعبدالكريم فيه طول ... ووجه الكلاب كذا فيه طول

ولكن الكلب يصول على المواشى ... وأنت كذا لا تصول ولا تطول

وتكلم الصوفية أيضا عن المحبة :

انظر إلى فلسفتهم الصوفية فى تعريفها أهل المحبة على ثلاث أحوال :

الحال الأول : محبة العوام ، وهى موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة لله ، واتباع رسول الله ووجود حلاوة المناجاة لله .

الحال الثاني : يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته وهو حب الصادقين والمحققين .

الحال الثالث : فهي محبة الصديقين والعارفين ، تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله بلا علة ، يصفها ذو النون المصرى فيقول : سقوط المحبة عن القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله ولله (انظر ص ٥٧ومابعدها من كتاب اللمع في التصوف .

إن الطوسى في كتابه ذكر المرتبة الأولى أنها مرتبة العوام مع أنهم شرحوها بحسن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتزام الطاعة والخشية من الله ، أى أنهم لا يرضون عن قول الله تعالى **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾** .

هذه المحبة عندهم محبة العوام ، فهم يحتقرونها لأنها في نظرهم تفرض على العبد أن يعبد الله بما أمره ، والصوفي الحق قد لا يقوم بعبادة ولا يلتزم بطاعة ـ ويقولون في تراتيلهم الشيطانية ، رفع التكليف في حال سكرنا عنا ـ ويردد أئمة الصوفية أن العبادة والطاعة تستلزيم التفريق بين العبد والرب وهذه الثنائية شرك عند الصوفية .

تعالوا بنا للمرتبة الثانية من الحب الإلهي ، لا يرتضيها أيضا الصوفية لأن فيها حلول إدارة الله وصفاته محل إرادة العبد وصفاته ، وذلك يستدعى المغايرة ، لأن العبد يشعر بإرادته الفانية ، وإرادة الله الباقية ، وهذا الشعور أيضا يناقض (الوحدة بين الخالق والمخلوق) .

أما المرتبة الثالثة : فهى مرتبة الحق الصادق ، لأنها توجد بين ذات المحب والمحبوب ذاتا واحدة ، ومن الاثنين وصفا واحدا فالخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق ،

وهذا معنى قول ذى النون المصرى « سقوط المحبة من القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة » والمحبة تقتضى أثنين بين محب ومحبوب وسقوطها يقضى على هذه الثنائية . أى أن المحبة توجب انتفاء المباينة ، ونقل عن الجنيد قوله عن سرى السقطى « لا تصح المحبة حتى يقول الواحد للآخر يا أنا (راجع المحبة من رسالة القشيرى ص ١٤٣ وفصل المحبة فى اللمع) .

«أى يقول الرب للعبد ، ياربى ، ويقول العبد للرب ياعبدى» أرأيت إفكا أكبر من هذا الإفك الصوفى ! .

الصوفية تؤمن إيمانا عميقا فى كتبها وفى قرارة نفسها و إن كانوا يبدون أمام الناس مسلمين يؤمنون أن العبودية و الربوبية شيء واحد للحقيقة الإلهية.

هذا قصة الحب عند الصوفية وتعالوا بنا إلى قصة العشق عندهم ، والعشق كما هو معروف عشق الرجل لامرأة عشقا جسديا.

ولهؤلاء السكارى المخابيل فى الغزل الجسدى باع طويل تستطيع أن تسمعه من المنشدين فى حضراتهم الشيطانية مثل :

سلبت ليلى منى العقلا　　　قلت ياليلى ارحمى العقلا

ولابن عربى قصيدة عشق طويلة لابنة أستاذه وشيخه مكين الدين الأصفهانى وله فيها غزل عنيف ، ولكنه زعم أخيرا أن ذلك غزل فى الذات الإلهية .

ولقد وجدت فى حياتى مثل هذا الزنديق من الشعراء ، فقد كنت أعرف شاعرا يهزه جمال أى امرأة فترى الشعر الفاحش يسيل من بين شفتيه صبا مريعا ، ونظرا لمركزه ، فقد كان يزعم أنه يتغزل فى الذات الإلهية أو يختم قصيدته ببيت شعر يذكر فيه اسم الله حتى يوصف بالتصوف ، فإذا لامه أحد قال إنه صوفى محب

عاشق لله سبحانه وتعالى .

وفي قصة رابعة العدوية التي عرضتها السينما ، وهي تأليف أزهرى درعمى سار في طريق الفن تسمع رابعة تناجي الله وتقول ياحبيبي يا...، يا ....، يا...، ألفاظ أبي قلمى أن يكتبها وقد عرضت هذه الرواية مرارا فى التلفاز .

فالغزل الجنسى قرآن يتلوه الصوفية فى اجتماعهم ، لا سيما فى الموالد حينما تدف الدفوف وتزمر المزامير ، وتهتز الأرداف رجالا ونساء وتسمع شهقات كشهقات الإناث على الأسرة بين أحضان الرجال ذلك مانراه ونشاهده في ليالى الموالد ، وذلك ماتكلم عنه ابن قيم الجوزية فى كتابه تلبيس إبليس ، أى أن شهيق الصوفية حديثا مأخوذ من شهيقهم قديما ، والشيء يرجع فى المذاق لأصله ،فلم تكن الصوفية يوما ما إسلامية إلا فى قولهم زورا وبهتانا يدخلون فى قول الله تعالى : **﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾** (سورة البقرة: ٨ ومابعدها) .

يحكي ابن عربى (الكبريت الأحمر) عند الصوفية قصة غرامه ببنت أستاذه وشيخه مكين الدين الأصفهاني ويقول :

كان لهذا الشيخ رضي الله عنه بنت عذراء طفيلة هيفاء ، تقيد النظر وتزين المحاضر ، وتحير الناظر ، ساحرة الطرف ، عراقية الظرف ، عليها مسحة ملك ، وهمة ملك ، ويمضى ابن عربى فى وصف حبيبته ومعشوقته تترى ، ثم يقول شعرا نقتطف منه بعضا .

مرضى من مريضة الأجفان ... عللانى بذكرها عللانى

بأبى طفلة لعوب تهادى ... من بنات الخدور بين الغوانى

طلعت فى العيان شمسا فلما ... أفلت قلت أشرقت بجنانى

طال شوقى لطفلة ذات نثر ... ونظام ومنبر وبيان

هى بنت العراق بنت إمامى ... وأنا ضدها سليل يمانى

والهوى بيننا يسوق حديثا ... طيبا مطربا بغير لسان

عرفانى إذا بكيت لديها ... تسعدانى على البكا تسعدانى

واذكرا لى حديث هند ولبنى ... وسليمى وزينب وعنان

طال شوقى لطفلة ذات نثر ... ونظام ومنبر وبيان

ولم يستطع ابن عربى بهذا الغزل الهتوك أن يستنزل قدم الفتاة الصغيرة فراح يزعم أنها الحقيقة الإلهية فى صورة أجمل أنثى ، ولكنهاظلت تؤمن بأنها يجب أن تذود عن شرفها هذا الصوفى الذى يسعى إلى تدنيسها باسم الدين ، وزعم أنها الحقيقة الإلهية ، فأهلكته ، وسجلت فى تاريخه بقلمه قصة عاشق محروم قضى حياته كلها يتخذ بجسد فتاة ربا له ومعبودا .

وهل يقال عن الحقيقة الإلهية ، أنها طفلة لعوب مريضة الأجفان . وترى كثيرا من غزل الصوفية مثل هذا ، وكان من إنشاد قطبهم « النصر اباذى » :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة ... فإنى من ليلى لها غير ذائق

وأكثر شىء نلته من وصالها ... أمانى لم تصدق كلمة (بارق)

ومن خرافات الصوفية قولهم

التصرف فى الكون :

يقولون أن الله يوهب فى هذا الكون للواصلين إليه التصرف فى الملكوت الأدنى ، إنهم يسمون أنفسهم أهل التصريف أو الملكوت (راجع كتاب كشف الوجوه النضر ، شرح تائية ابن الفارض جـ ١ طـ ١٣١٠هـ الكاشانى) وإن فى قدرتهم نزع خواص الأجسام وإثبات خواص أخر . ونقول : -

إن الله يكرم عباده بما يشاء ، وقد تكون الكرامة استدراجا ،وهناك كرامات دنيوية يعطيها الله لعباده جميعا ، قوله تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ (الآية : ٧٠) .

تلك كرامات فى الدنيا تعطى لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم ، فصعود جاجارين إلى القمر ، وقيام أرمستون الأمريكى ليلة فيه كرامة دنيوية ، وقد كان المؤمنون الأول يخافون من كرامات الدنيا ، والمثل الأعلى لذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما رأى ثروات الفرس التى لا تعد ولا تحصى أصبحت فى يده بكى بكاء شديدا ، وخاف أن يكون ذلك استدراجا ، وفى القرآن الكريم لما رأى سليمان عرش بلقيس أمامه كما جاء فى سورة النمل ﴿ **قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر** ﴾ (آية : ٤٠).

هذه الكرامات الدنيوية كثيرة نعيش فيها صباح مساء ، مؤمنا كان أم كافرا ، أما كرامات المؤمنين المخلصين فتتجلى فى صلوات الملائكة عليهم والاستغفار لهم ،كما

جاء فى سورة المؤمن ﴿ **وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هوالفوز العظيم** ﴾ (المؤمن : ٩).

أما الكرامات المزعومة التى تعارض أصول الدين ، فليست بكرامات إنها شعوذة ، أو خيال ساحر ، أو أساطير .

فليس من المعقول ولا المقبول ، أن يكون فى استطاعة بشر السيطرة على سنن الله الكونية ، أو تحويلها أو تبديلها .

ومامن آية من آيات الله منّ الله بها على أحد من رسله إلا ونجد فى كتاب الله مايؤكد أنها من قدرة الله ، لا من قدرة الرسول ، وما يرده الصوفية من أن الله يعطى لعبده ما يقال : « أطعنى أجعلك ربانيا تقول للشىء كن فيكون » وذلك لا يكون إلا لله فله الحكم والأمر و إنه سبحانه وتعالى لا يشرك فى حكمه أحدا ، ، وله مطلق التدبير ، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك . فكيف يفترى الصوفية أنهم ذوو آيات وخوارق وأنها كرامات ....؟!

ومن المؤسف يؤمن بها ضعاف العقول من الناس ، وهم يعلمون كل العلم أن ماعليه أغلب هؤلاء المدعين الولاية بله وسذج وذو نجاسة ، كيف يعتقد الناس أن هؤلاء هم الأولياء ؟ وأن الله أعطاهم التصريف فى الكون ؟! .

كيف يكون لهؤلاء القدرة والهيمنة على سنن الله الكونية ، وسلب الأشياء فطرتها التى فطرها الله عليها ؟! .

إن كتبهم مملوءة بحشود هائلة من الخوارق المزعومة ، وما يسمونه كرامات ، ولو قرأت فى كتب المسيحيين التى تتحدث عن أوليائهم أيضا لوجدت حشودا عند المسيحيين من هذه الكرامات المزعومة ، كذلك كتب أحبار اليهود ، وكتب الهنود

وزرادشت .

حتى ظن الناس قديما ولا يزالون يظنون حديثا أن الكون تحت تصاريف هؤلاء البله العبط الأنجاس .

لذلك لا تتعجب أيها القارىء كيف يحتشد فى مولد البدوى مثلا أو الدسوقى ، أو غيرهما ملايين من البشر جاءوا من أقصى البلاد بل من أقصى المعمورة ، جاءوا بهذه العقيدة ليتهم قرءوا الآية الشريفة ، وفهموا معناها ﴿ **أليس الله بكاف عبده** ﴾.

الفصل الثالث

للصوفية مملكة يسمونها المملكة الباطنية

١ ـ القطب وعلامته وعوالمه ومبايعته .

٢ ـ تعقيب الإمام ابن تيمية علي ذلك .

٣ ـ أقطاب الأمة المحمدية والتعقيب علي ذلك .

٤ ـ الأوتاد ، والبدال ، والنقباء .

٥ ـ ماذا يرى ابن تيمية في هذه الأساطير

وما حجته ؟ .

٦ ـ المهدي المنتظر بين الحقيقة والخرافة .

٧ ـ ماذا يرى ابن تيمية ؟ .

للصوفية مملكة !، ولازلنا نسمع عن هذه المملكة حتى الآن ، ونسمع من يقول أن السيدة زينب صاحبة الشورى ـ طبعا في هذه المملكة ، فتعالوا بنا نتجول في هذه المملكة العجيبة .

ومن الغريب أن الممالك الدنيوية بعد توالى الحروب الآدمية لاسيما الحروب الأخيرة ١٩١٤ ، ١٩٣٩ انقلبت كثير من هذه الممالك إلى جمهوريات ، ولكن مملكة الصوفية لازالت بخير ، فأساسها ثابت الأركان بفضل الصوفية أنفسهم .

وإذا أخذت عهدا على أحد مشايخ التصوف ، فتسمع منه على أفراد هذه المملكة المريد ، والنقيب ، الخليفة ، والبدل ، والقطب ....الخ .

وعلى رأس هذه المملكة القطب ، فما هو القطب ؟ .

يقول أبو الحسن الشاذلى : « له التصرف العام ، والحكم الشامل فى جميع المملكة الإلهية ، وله الأمر والنهى ، والتقرير والتوبيخ ، والحمد والذم على حسب مايقتضيه مراد الخليفة سواء أكان نبيا أم وليا مستورون في هذه المرتبة ، والرسول ليس له عموم الأمر والنهى إلا ماسمعه من مرسله لا يزيد وراء ذلك شيئا . فالخليفة : الولى أوسع دائرة فى الأمر والنهى والحكم من الرسول الذى ليس بخليفة ، وله تحريك الجمادات وكل حى وله الإمارة على كل شىء ، ولا يصل إلى الخلق شىء كائنا ما كان إلا بحكم القطب .

(أيها القارئ الكريم تستطيع أن تشبع هوايتك من هذه الخرافات إذا قرأت ص٤٠ ،٥٠ ، من كتاب بغية المستفيد ، وكتاب جواهر المعانى جـ٢ص٧٩،

وكتاب اليواقيت جـ٢ ، وكتاب الولاية للحكيم الترمذى) وكتاب هذه هى الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل ، وللقطب مدد ، ومن القطب يتفرع جميع الأمداد الإلهية على جميع العالم السفلى والعلوى .

علامة القطب : أى كيف يمكن أن تعرفه ؟ اقرأ للشعرانى صاحب ضريح باب الشعرية يقول : وقد سئل مرة ماعلامة القطب ، فإن جماعة فى عصرنا ادعوا القطبية، فقال الشعرانى : : فض الله فاه ، وقد فضه بين جنادل القبر ، قال علامة القطب : إن للقطب خمس عشرة علامة : أن يمدد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ، ومدد حملة العرش العظيم ، ويكشف له من حقيقة الذات وإحاطة الصفات ، ويكرم بكرامة الحلم والفصل بين الموجودات ، وانفصال الأول عن الأول ، وماانفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه ، وحكم ماقبل وما بعد ، وحكم من لا قبل له ولا بعد ، وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم ، وما بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه .

وينقل عن ابن عربى بعض علاماته فيقول: التحقق بمعانى جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة ، هو مرآة الحق تعالى ، ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية ، وصاحب الوقت وعين الزمن ، وصاحب علم سر القدر ، وله علم دهر الدهور ، كثير النكاح راغب فيه محب للنساء !! .

وقبل أن أترك هذه الترهات عن تعريف القطب عند هؤلاء السادة الشياطين ، أقول للقارئ لعلك قرأت ، وفهمت بعضا ، ولم تفهم البعض الآخر ، فالصوفية كما يصفون أنفسهم أرباب أسرار ، وأحاجى وألغاز و حتى أنه من المعروف عند أضرحة طواغيتهم ، يصفون بعض الأبوب الداخلية بأنها باب السر ،

رأيت في التليفزيون (السادات) غفر الله له ومعه وزيرالأوقاف في عهده يزور ضريح طوطم دسوق فقال له الحارس ، عندما أراه الضريح ، هذا باب السر ، وقال للسادات أبشر فستكون خليفة المسلمين ؟! .

والعالم الفاضل وزير الأوقاف في عهده واقف يسمع هذا عاملا بقول الحكيم : «دارهم مادمت في دارهم ، وارضهم مادمت في أرضهم» حكم تتناثر على ألسنة الشخصيات الضعيفة من الناس .

عوالم القطب : يقول الجيلاني في كتاب بغية المستفيد ص ١٤٠ إن للقطب ستة عشر عالما ، الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم .

تعقيب الإمام الجليل شيخ الإسلام

ابن تيمية على هذه الخرافات :

قال قدس لله روحه ، ونور ضريحه ، وحشرنا في زمرته مع خير المرسلين وصحبه ، اعلم هداك الله وأرشدك ، إن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ، ولا يحتاج إلى دليل آخر ، ثم يقول : وكل من يقبل كلام هؤلاء هو أحد رجلين : إما جاهل بحقيقة أمرهم وإما ظالم يريد علوا في الأرض وفسادا ، وإما جامع بين الأمرين. وهذه أحوال أتباع فرعون . وحال القرامطة مع رؤسائهم ، وحال الكفار والمنافقين مع أئمتهم الذين يدعون إلى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون ، « راجع أقوال ابن تيمية في كتاب رسالة حقيقة مذهب الإتحادين ، أو كتاب هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل » ، إنها أساطير الزنادقة ، لها باع طويل عند الصوفية قديما وحديثا ، وللقطب عندهم في كل زمان ومكان اسم واحد (عبدالله وعبدالجامع) أما الأقطاب الذين تولوا وظيفة القطبانية من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقد

زعم ابن عربي أنه قابلهم في قرطبة ، وهم خمسة وعشرون ، وهذه هي أسماؤهم كما قال ابن عربي « المفرق : مداوى الكلوم ، المرتفع ، الشفاء ، الماحق ، العاقب ، المنحور ، شجر الماء ، عنصر الحية ، الشريد ، المراجع ، الصائغ ، الطيار ، السالم ، الخليفة ، المغسوم ، الحي ، الرامي ، الواسع ، البحر ، الملصق ، الهادى ، المصلح ، الباقي . وفي كتاب الكبريت الأحمر للشعراني ص١٠ وهو مطبوع عل هامش اليواقيت جـ١ إن كل فرقة صوفية نسبت إلى شيخها القطبانية ، كابن عربي ، والتيجاني ، والجيلاني ، إلى غيرهم ، وزعم ابن عويس أن الذى علمه هو الخضر .

ولما أتى هؤلاء إلى ذكر الإئمة كالشافعي ، وابن حنبل ، قالوا عنه أنه وتد (أنه أقل رتبة من القطب) وأما أحمد ابن حنبل فصديق فقط .

مبايعة القطب :

يقول الشعراني : هل يحتاج القطب في توليته إلى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر ، فالجواب : نعم كما قاله (الشيخ ابن عربي) في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة ، وعبارته « اعلم أن الحق تعالى لا يولي عبدا قط مبدأ مرتبة القطبانية إلا وينصب له سريرا في حضرة المثال يقعده عليه ، فإذا نصب له ذلك السرير ، فلابد أن يخلع عليه جميع الأسماء التي يطلقها العالم وتطلبه ، فإذا قعد عليه قط بصورة الخلافة ، وأمر الله ببيعته على السمع والطاعة ، واعلم أن أول من يدخل عليه من الملأ الأعلى على مراتبهم الأول فالأول ، فيأخذون بيده على السمع والطاعة ، وأول من يبايعه العقل الأول ، ثم النفس ، ثم المقدمون من عمار السماوات والأرض ، من الملائكة المسخرة ، ثم الأرواح المدبرة في الهياكل التي فارقت أجسادها ثم الجن ثم المولدات ، ثم سائر من سبح الله تعالى من مكان

ومتمكن ، ومحل وحال فيه .

التعليق على ذلك : الفتوحات المكية لابن عربى ، بل قل وثنيات ابن عربى التي يدين بها الصوفية ، فهو يصف القطب بالصبغة الإلهية ، فهو يقول عند وصف السرير أنه يقف عليه بالصورة الإلهية .

يقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل فى مقال له بمجلة الهدى النبوى ربيع الأول ١٣٨٦ مجلد ٣١ : لقد راجعت مانقله الشعرانى عن الفتوحات عن ابن عربى ، وما نقله صاحب كتاب بغية المستفيد ، «وفي ينصب له تخت عظيم لو نظر الخلق إلى بهائه لطاشت عقولهم فيقعد عليه القطب ويقف بين يديه الإمامان ويمد يده للمبايعة ، وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحانى بمبايعته ، ومن جملة المبايعين له النباتات» ص١٤٠ بغية المستفيد .

ويقول الشعرانى : أين محل إقامة القطب ؟ فيقول المشهور عنه أنه بمكة ولكن الشعرانى لا يعترف بهذه الشهرة ، ويقول : هو بجسمه حيث يشاء الله لا يتقيد بالمكث فى مكان مخصوص ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة يكون تاجرا ، وتارة يبيع الفول ، ونحو ذلك .

وإن للقطب ستاً وستين ذاتا وثلاثمائة ذات، واحدة منهن بمكة لا تبرحها مادام حيا ، أما الذوات الأخرى فحيث أراد الله تعالى من البلاد .

إنه يريد أن يقول أن ذوات القطب بعدد أيام السنة ، ولا أدرى لماذا نسى السنة الكبيسة ؟! وله مائة ألف مقام ، واثنان وأربعون ألف درجة .

هذه أسرار القطب وأسرار القطبانية ، وراء تستر الصوفية بالإسلام وادعائهم أنهم أصحاب أسرار ، ومواجد ، وأذواق . ويقول منشد الحضرة عندهم : من ذاق عرف ،

ويعرفون شيوخهم بالعارفين بالله !. بينما لا يلقبون هذا اللقب لأبي حنيفة ، أو الشافعي ، أو مالك ، أى واحد من صحابة الرسول مدعين أنهم من علماء الظاهر ، وليسوا من علماء الباطن والأسرار .

ثم يدعون أن القطب القديم ،وهو الحقيقة المحمدية فأزلى أبدى ، أو هو الأول والآخر ، لأنه هو الله سبحانه وتعالى .

أما القطب الحادث فيموت ، وليس للقطبية مدة معينة ، فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة ، فإنها مقام ثقيل تحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها .

أقطاب الأمة المحمدية :

يذكر ابن عربى أن أقطاب هذه الأمة اثنا عشر اختص كل واحد منهم بنبى ، وهؤلاء الأنبياء الذين اختص بهم الأقطاب هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وأيوب وإلياس ولوط وهود وصالح وشعيب ، ومدار هذه الأمة على هؤلاء الأقطاب ، ولكل قطب سورة من القرآن فللأول سورة يس ، ومنازله على عدة آيات هذه السورة ، وللثاني سورة الإخلاص ، وللثالث سورة إذا جاء نصر الله والفتح ، وللرابع سورة الكافرون ، وللخامس سورة إذا زلزلت ، وللسادس سورة البقرة ، وللسابع سورة المجادلة أو الواقعة ، له التأثير فى العالم ظاهرا وباطنا ، وللثامن سورة آل عمران ، وللتاسع سورة الكهف ، وهو الذى يقيله الدجال ويدرك عيسى ، وللعاشر سورة الأنعام ، وللحادى عشر سورة طه ، وللثانى عشر سورة الملك (راجع ٩٦ ومابعدها جـ٤ المجلد الأول الفتوحات) ونلاحظ أن الرافضة قالوا بالاثنى عشر إماما الذين يدينون لهم ، فما أشبه هؤلاء بهؤلاء !! .

ليس ذلك فحسب إن هذه الأساطير تشبه رأى الصليبيين فى الكلمة والأفلاطونية فى اللوغوس .

إن كل هذا يناقض الإسلام ، بل هم يعادون الإسلام ويتحدونه ، وعلى رأسهم ابن عربى ، إنهم أشد الناس عداوة للإسلام .

يقول صاحب اليواقيت ص٨٣ جـ٢ «أن للقطب إمامين بمنزلة الوزيرين واسم الأيسر منهم عبدالملك واسم الأيمن عبدربه» .

ومهمة القطب حفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد ، ومهمة الإمامين حفظ عالم الغيب والشهادة .

ونظر الإمام الذى هو على يمين القطب يكون إلى الملكوت، وهو مرآة مايتوجه من الركن القطبى إلى العالم الرحانى ، من الإمدادات التى هى مادة الوجود والبقاء ، ونظر الذى على يسار القطب إلى عالم الملك ، وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية ، وهو أعلى من الأول ، فيخاف القطب إذا مات .

ومن مهمة الإمامين أيضا تحمل البلاء الثابت الذى يراه القطب فى الألوح وعددها ستون وثلاثمائة ، إنه لابد من نفاذه (انظر بغية المستفيد ص١٤٠) .

الأوتاد :

وهم أربعة من أعوان القطب واحد باليمن وواحد بالشام ، وواحد بالغرب ، وواحد بالمشرق ، وواحد بالمغرب .

ويدور القطب فى أربعة آفاق من أركان الدنيا دوران الفلك فى أفق السماء ومهمتهم حفظ الشمال والجنوب والمشرق والمغرب ، والأول يحفظ الله به الإيمان،

والثاني يحفظ به الولاية ، والثالث يحفظ الله به النبوة ، والرابع يحفظ به الرسالة .

وهناك أيضا الأبدال :

وفي الدرجة بعد الأوتاد الأبدال ، وهم سبعة أبدال ، وهم طائفة من أهل الكشف والمشاهدة والحور ، رحم الله بوجودهم العباد والبلاد .

النقباء :

جاء ف ص٤٩ ببغية المستفيد وفي نور الأبصار ص٢٢٩ : «أن عددهم ثلاثمائة أو خمسمائة ، أو أربعين ، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض ، وقلوبهم على قلب أدم .

وقالوا أن بالنقباء تقفل دائرة القطبية ... وهناك من ليسوا من هذه الدائرة وهم عامة الأولياء ، وهم طوائف كل طائفة لها عدد لا ينقص ، فإذا مات الواحد منهم خلفه غيره في مرتبته .

ومن الأولياء من يسمون باسم «الضنا» وعددهم أربعة آلاف ولى والأخر يسمون الذخائر ، وعددهم أربع آلاف أيضاً .

ومرتبة هاتين الطائفتين أنهم يعتقدون وجود الكون ، ولا يرونه لأنهم غرقى في بحار الألوهية .

أما جماعة الأولياء الذين يقضون حوائج الناس ، ويعرفون بأصحاب النوبة ، وهم جماعة من الناس منبثون في الأرض لقضاء مصالح الناس وحفظهم ورعايتهم ، ولا يجوز لمن هو دونهم من الأولياء أن يتصرف في شيء إلا بعد أن يستأذنهم بقلبه ، ومن خالفهم أو عارضهم أو تصرف بغير إذنهم قتلوه .

كما حدث للخواص لما كثرت منه الشفاعات فغضب أصحاب النوبة فى مصر فطعنوه بخنجر لم يتلقه عنه أحد من الأولياء سوى الشريف المجذوب ولكنهم طعنوه مرة أخرى فى مشعره فقضوا عليه كما جاء فى كتاب الطبقات للشعرانى ص١٢٩ـ ١٣٥ جـ٢ .

ويوجد فى كل مدينة عدد منهم ، وتحت إمرة كل واحد عدد من الملائكة يبلغ السبعين يعينونه فى تصرفاته ، ويقول الدباغ إن هؤلاء الملائكة على هيئة بنى آدم ، فمنهم من يلقاك فى صورة خواجة ، ومنهم من يلقاك فى صورة فقير ، ومنهم من يلقاك فى صورة طفل وهم منغمسون فى الناس ، ولكن الناس لا يشعرون .

أيها القارئ . قارن بين هذه المملكة الباطنية وبين ماتقوله «الغنوصية» من أن الذات الإلهية يصدر عنها العقل ثم «اللوس» ثم «اللاغوس» ثم الانتروبوس ويتلوها مقدار كبير من الكائنات الروحية ويسمونها الأيونات .

و« اللوس» هو النفس ، «واللوغوس» هو الكلمة ، «والانتربوس» هو الإنسان الكامل ، ولعل هذه الإصطلاحات مأخوذة من اللغة اليونانية .

والحقيقة المحمدية يسمونها القطب القديم ، أو العقل العام .

والأيونات ومابعدها : هى سلسلة صغار الأقطاب والأوتاد ومن بعدهم .

هذه الزندقات التى قال بها الشيوخ ، قال بها قبلهم الفيلسون اليهودى فيلون فقد قال عن اللوغوس : أنه رباط الخلق جميعا . إنه يحوى أجزاءها جميعا ، ويؤلف بينها ويمنعها من التفكك والانفصال بدونها ، وإنه منتشر فى كل مكان يملأ كل ثنايا المادة ويكون نسيج كل كائن وإنه منتشر فى كل مكان وغيرقابل للقسمة ،إنه يحكم الكون وهو منه بمشابة الشريان . واللوغوس وسيط بين الله والإنسان (راجع هذا

الموضوع الهام بتوسع في كتاب التراث اليوناني ص٨ ، ونشأة الفكر الإسلامي الفلسفي ص٤٦ والآثار الدينية الفلسفية لفليون الاسكندري ـ ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وعبدالحليم النجار ص١٢٣) .

وقد ذكر الصوفية طائفة أخرى وهم الأخيار وهم سبعة، والعمد وهم أربعة ، ويقولون أن مسكن النقباء المغرب ، والنجباء مصر والأبدال الشام . والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، ويزعمون أن أول من تقلد القطبية من يد المصطفى «فاطمة الزهراء» مدة حياتها ثم انتقلت إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن .

ولكن أبا العباس المرسي يؤكد أن أول الأقطاب الحسن بن علي هكذا تصور الصوفية عالمها الأسطوري ، عالم الشيطان لا عالم الرحمن ، وهذا التمحك الفاضح في الصحابة وفي فاطمة الزهراء مفترى من مفترياتهم .

والغزالي في حديثه عن مراتب التوحيد يقول عن المرتبة الرابعة : « ومن أهل هذه المرتبة يكون القطب والأوتاد والبدلاء . ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء ص١٣١ الإملاء بهامش جـ١ الإحياء » ، والمرتبة الرابعةهي الإيمان بأن الخلق عين الخالق .

هذا الإفك الأسطوري المراد به القضاء على توحيد الله والقضاء على القرآن والإسلام !! .

أي مسلم يشعر بالكرامة وهو يعرف أن أقداره يصرفها هؤلاء البله المرضى القذرون الدنسون وقد يكونون خواجات كما سبق تعريف القطب ! .

عجيب جدا أمر هؤلاء الصوفية !! أيخلق الله الخلق ويتركهم لجماعة منهم

الأبل ، والفوال ، والطفل اللاعب بخراءته ، والخواجة الذى لايدين بدين الإسلام يصيرونهم كما يشاءون .... هذه الأساطير الرائجة فى حضراتهم الشيطانية حيث يرقصون ويزمرون ويتغزلون فى ليلى ؟!! .

إن هذه الخرافات تقدم باسم الدين ، ويقوم بالدعوة إليها شيوخ اعتلوا مناصب يرمقهم منها الناس بعين الاحترام والتقديس ، فعداوة هذه الترهات للإسلام سافرة صريحة ، وتكتسب ضد الإسلام ، ويؤمن بها كثير من المترددين على أضرحة الطواغيت أو أضرحة آل البيت ، وآل البيت برآء من هذا الشذوذ الفكرى براءة الذئب من دم ابن يعقوب ؟! .

إن ما يخدع العوام والدهماء ورعاع الناس المناصب الضخمة والأسماء الرنانة .

إن تاريخ مشايخ الصوفية الكبار المضخم بالجلالة الزائفة أمثال ابن عربى ، وابن الفارض ، والجيلى ، وابن سبعين ، وغيرهم لم يخرج هذا التاريخ عن اتهام هؤلاء بتقديم هذه الخرافات فى كتبهم ،وفى أقوالهم ، وفى معيشتهم ، وفى لياذهم بجثث القبور من ساداتهم .

كم من مسلم فيلسوف يرفع النصوص لابن عربى فوق رأسه ، ولو قرأه الباحث المدقق ، لوجده مجوسية خبيثة وزندقة طاغية بهدم الإسلام .

ومن الغريب أن ترى أن ابن حجر الهيثمى له باع فى شرح بعض الأحاديث النبوية ينزلق إلى هذه المهاوى الهابطة . فقد سئل عن عدة رجال الغيب فأجاب[1] :

رجال الغيب سموا بذلك لعدم معرفة أكثرهم ، رأسهم القطب الغوث الفرد

---

(١) لعله كان ضحية من ضحايا الصوفية التى حولت الفكر الإسلامى العقلانى إلى أساطيرها بماخدعوا به الناس من الكرامات المزعومة .(المؤلف)

الجامع، جعله الله دائرا فى الآفاق الأربعة أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء، وقد ستر الله أحواله عن الخاصة والعامة غيرة عليه ، غير أنه يرى عالما وأبله، ومكانه من الأولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم . والأوتاد أربعة لا يطلع عليهم إلا الخاصة ، واحد باليمن ، وواحد بالشام، وواحد بالمشرق، وواحد بالمغرب .

والأبدال سبعة على الأصح ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعةعشر والنقباء أربع والنجباء ثلاثمائة .

فإذا مات القطب أبدل بخيار الأربعة ،أو أحد الأربعة أبدل بخيار السبعة ، أو أ السبعة أبدل بخيار الأربعين ، أو أحد الأربعين أبدل بخيار الثلاثمائة ، فإذا مات من الثلاثمائة أبدل بخيار الصالحين .

ويقولون : إذا أراد الله قيام الساعة أماتهم أجمعين ، إن الله يدفع عن عباده البلاء بهم ، وينزل قطر السماء .

وروى بعضهم عن الخضر ، أنه قال أنهم ثلاثمائة هم الأولياء ، وسبعونه النجباء، وأربعون هم الأوتاد ، وعشرة هم النقباء ، وسبعة هم العرفاء ، وثلاثة ه المختارون ، وواحد هو الغوث ، والخضر عليه السلام هو سيد القوم .

وفى حديث الإمام الرافعى يرويه عن الرسول صلى الله عليه وسلم **«أن لله فى الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم ، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ، وواحد قلبه على قلب اسرافيل ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله**

مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة » انتهى كلام الهيثمي باختصار (راجع الفتاوى الحديثة لتقى الدين ابن تيمية رضوان الله عليه) ص٢٢٦ وما بعدها ...

ماذا يرى ابن تيمية في هذه الأساطير ؟!

وما حجته ؟! :

يقول هذا الإمام الجليل « وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذى يكون بمكة ، والأوتاد الأربعة ، والأقطاب السبعة ، والأبدال الأربعين ، والنجباء الثلاثمائة ، فهذه أسماء ليست مدروجة فى كتاب الله ولا هى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف ، إلا لفظ الأبدال فقد ورد فيه حديث شاذ منقطع الإسناد مرفوع عن على بن أبى طالب مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ولا توجد هذه الأسماء فى كلام السلف ، ولا هى مأثورة على هذا الترتيب والمعانى عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولا عاما ، وإنما توجد عند المتوسطين من المشايخ[1] .

وأما لفظ الغوث الغوث والغياث ، فلا يستحقه إلا الله تعالى فهو غياث المستغيثين ، لا يجوز لأحد الإستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ، ولا نبى مرسل .

ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التى يطلبون بها كشف الضر ، ونزول

---

(١) يقصد المشايخ الذين يجرون وراء الخرافات ، ويقرءون القرآن الكريم ولا يحسنون تفسيره . (المؤلف)

الرحمة بهم إلى الثلاثمائة ، والثلاثمائة إلى السبعين ، والسبعين إلى الأربعين ، والأربعين إلى السبعة ، السبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث ، فهو كذاب هتاك مشرك . فقد كان المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه**﴾ وقوله تعالى ﴿ **أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ .

وكيف يكون المؤمنون ؟ يرفعون حوائجهم إلى الله بعد عدة وسائط من الحجاب، وهو القائل ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ (راجع ٤٦ ومابعدها)، الرسالة الأولى من مجموعة الرسائل والمسائل .

رحم الله ابن تيمية ، فقد أزال الأغشية التي حجبت العيون من رؤية أنوار الحق وسولت القلوب من أن تنفتح للإيمان الصحيح وقد ذكر رضى الله عنه عن الحديث النبوى بأنه منقطع الإسناد مرفوع وحديث هذا شأنه لا يصح أن يكون حجة على شيء . وجاء في كتاب الوجيز « حديث الأبدال ، ورد عن ابن مسعود ، وابن عمر، وأبي هريرة ، ولا يخلو إسناده من ضعيف ومجهول وواضع » ، وفى كتاب المقاصد « حديث الأبدال له طريق عن أنس بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة » .

ربما أخذت هذه الترهات من الشيعة الاثنى عشر فهى تزعم أن إمامها الثانى عشر محمد بن الحسن ، قد اختفى ولا زال مختفيا حتى الآن وسيظهر فيما بعد، كما يعتقد الصوفية في الخضر والقطب .

وللإمام ابن تيمية رأي نوجزه في الآتي :

أن إيمان الرافضة بهذا المنتظر الموعود ، مثل إيمان كثير من شيوخ الزهد والدين

بـ «الياس ، والخضر» وأنهما حيان يرزقان ، مختفيان عن الأنظار وإيمانهم بالقطب ، أشخاص لا يعرف وجودهم ، ولا بماذا يأمرون ولا بماذا ينهون ؟ .

ويقول رضى الله عنه ما موجزه :

١ ـ أن الإيمان بوجود هؤلاء ليس واجبا عند أحد من علماء المسلمين وطوائفهم المعروفين ، وكل قول غير ذلك فهو مرفوض .

٢ ـ أن من الناس من يقول أن التصديق بهؤلاء يزداد به الرجل إيمانا وخيرا ، وموالاة الله .

وهذا قول باطل بإجماع علماء المسلمين وأئمتهم ، فإن العلم بالواجبات ، والمستحبات ، ليس موقوفا على التصديق بهؤلاء أوغيرهم .

هذه الأقوال مرفوضة ، والمعروف من الدين بالضرورة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته التصديق بوجودهؤلاء ، ولا أصحابه أيضا .

وجميع هذه الألفاظ ، من قولهم القطب والغوث والأوتاد والنجباء لم يتكلم الرسول ولا صحابته بشىء منها .

٣ ـ إن القائلين حول هذه الألفاظ منهم من ينسب إلى أصحابها مالا يجوز نسبته إلى البشر ، مثل دعوى بعضهم أن الغوث أو القطب هو الذى حد أهل الأرض فى هداهم ونصرهم ورزقهم ، وهذا باطل كل البطلان ، وكذلك مايدعيه بعضه أن الواحد من هؤلاء يعلم كل ولى كان أو يكون ، ، اسمه ، واسم أبيه ، ومنزلته من الله ونحو ذلك من المقالات الباطلة التى تتضمن أن أحدا من البشر يشارك الله فى بعض خصائصه ،مثل أنه بكل شىء عليم ، أو على كل شىء قدير ، كما يقول بعضهم فى شيوخه ، إن علم أحدهم منطبق على علم الله فيعلم مايعلمه الله ويقدر

على مايقدر عليه الله . فهذه المقالات ومايشبهها مثل قول النصارى فى المسيح عليه السلام وفى قساوستهم ورهبانهم .

أما موضوع الخضر والياس : وكثير من الصوفية يتشدق بحياتهما فالصواب الذى عليه جميع العلماء أن إلياس والخضر ماتا.

وإنه ليس هناك واسطة بين الله وخلقه فى الرزق والهداية والنصر . ومهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام تبليغ رسالة الله إلى البشر ، ولا سبيل إلى إرضاء الله إلا بطاعة الرسل ، وإما خلقه وهداه ونصره ورزقه فلايقدر على ذلك إلا الله وتعالى، ولا يتوقف على حياة الرسل أور بقائهم ، بل لا يتوقف نصر الخلق ورزقهم على وجود الرسل أصلا ، بل قد يخلق الله ذلك بما شاء من الأسباب بواسطة الملائكة أو غيرهم ، وقد يكون لبعض البشر في ذلك من الأسباب ماهو معروف في البشر .

لقد أسهب الإمام ابن تيمية فى الرد على هذه الأباطيل الشركية اجتزأت منه ماقدمته فمن شاء الإستزادة فليرجع إلى ص٦ جـ٢ منهاج السنة ، ص٢٦ • هامش من المنتقى) تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب .

ومحب الدين الخطيب التقيت به شخصيا في جريدة الإخوان المسلمون ، وكان حادا يكره المزاح ، وكنت إذا مازحته لأضحكه ، يقول لى اذهب إلي الأستاذ السكرى رئيس التحرير ، ومازحه !! .

المهدى المنتظر بين الحقيقة والخرافة :

عندما يحل اليأس من المصلحين ، يترنمون بأنشودة المهدى المنتظر ويسوقون أحاديث كثيرة ، أنه هو الذى يصلح الأحوال ، وينقذ الناس من الضلال ، ويملأ الدنيا عدلا ونورا ، ويفرق اليهود ، ويقطع شأفتهم فى البحر الميت ، حتى يأتى المسيح

عليه السلام .

ويقول الناس بعضهم لبعض كلما وجدوا المروق والخروج على تعاليم الإسلام ، هذا أوان خروج المهدى المنتظر ،وما من مصلح اجتماعى إلا ويجتمع حوله لفيف من العلماء يهنئونه أنه من رسل المهدى المنتظر ، وقد خلبت هذه العبارة عقول بعض المصلحين فسموا أنفسهم بالمهدى ، ولا سيما فى العصر العباسى الذى راجت فيه هذه الفكرة .

فكرة المهدى المنتظر فكرة قديمة قبل أن تشتهر على لسان الصوفية وبعض العلماء الذين لا يحسنون قراءة التاريخ .

فهو فى رأيهم علامة من علامات قيام الساعة ، وانتهاء الدنيا ، ولو بحثنا جيولوجيا فى تاريخ تطور الأوض وتضاريسها منذ بلايين السنين ، لوجدنا أن الجنس الآدمى أتوا بعد ملايين السنين ، كان هناك مخلوقات لا حصر لها مخلوقات غير مكلفة ، أقرب شكلا إلى القرود كشفت عنها الحفريات ، وبين حين وآخر نسمع من يقول لقد اكتشف فى البرازيل أو المكسيك ، أو فى هضاب الصين أو فى الفيوم عندنا أو فى بنى حسن حفرية قدر العلماء زمنها ببلايين السنين(١) .

إن فكرة المهدى المنتظر ، فكرة قديمة موجودة في البوذية والزرادشتية فمما بشر به زرادشت (بعثة المهدى المنتظر) ، ويقول : أن هناك ثلاثة سيرسلون لإصلاح الدنيا وإرساء قواعد العدل والحكمة فيها قبل فنائها .

ولعل القارئ لأول وهلة يظن أنه يقصد عيسى عليه السلام ، وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم ؟! لامانع من ذلك ربما ولكنه

(١) راجع كتابى « سر الوجود بين الحفريات والقرآن الكريم » (المؤلف) .

أوضح المهدى المنتظر الذى يريده أنهم ثلاثة لا واحد ، وأن هؤلاء المبعوثين سيخرجون من شرق إيران حيث توجد بحيرة هامون .

وانظر إلى خرافة زرادشت أشبه بخرافات الصوفية فهو يقول « ستظهر فتاة بالقرب من جبل ‹ كوه خدا › وستذهب فى فصل الربيع إلى بحيرة هامون ، وتستحم فيها فتحمل من نطفة زرادشت بطريقة معجزة ، ثم تضع مولودا يبعث فى سن الثلاثين بأمر من إيران والدنيا ، ثم يختفي هذا المبعوث ، فيعود إلى الدنيا الخراب ، ويستمر الوضع حتى يصلحه الله بعد مائة سنة ، تظهر فتاة أخرى تحمل بنفس الطريقة ، وتلد مولودا يقوم بنفس المهمة ، ويكون مصيره ومصير الدنيا نفس المصير » ، ثم تظهر فتاة ثالثة فتحمل بنفس الطريقةويرسل مولودها فى نفس السن ، فيصلح الدنيا صلاحا لا تفسد بعده ، ويكون ذلك إيذانا بقيام القيامة .

هذا مايوجد في الديانة الزرادشتية ، وهم ينتظرون المهدى المنتظر الأول ويتوقعون قرب ظهوره . وقد انتقلت هذه الفكرة فكرة المهدى المنتظر إلى الشيعة ، فهم يعتقدون أن (صاحب الزمان) سيظهر فى شرق إيران ، وبالقرب من بحيرة (هامون) بالذات ، وشخصية صاحب الزمان فى صورتهاعند الشيعة هى المهدى المنتظر ، وليست هذه الصورة موجودة عند أهل السنة .

والإيرانيون لذلك يقدسون الماء، ويخلقون الأساطير حوله وحول منابعه ، وقد هلل بظهوره دعاة البهائية . وهذه المسألة فى الزرادشتية منشؤها تقديس الإيرانيين للماء .

والإمام عند الشيعة هو نائب الرسول في الأرض ، يقوم على حماية الدين ورعايته، وظلوا يتوارثونها حتى وصلت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ثم اختلفوا فى إسماعيل هذا ، فقد كان يشرب الخمر ، فقال بعضهم أن إمامته سقطت

بشربه الخمر ، وقال آخرون إن الإمام معصوم ، فإذا شرب الخمر ، فليس للناس أن يسألوه لماذا ؟! ولابد أن يكون هناك حكمة لذلك ؟! وهؤلاء هم طائفة الإسماعيلية ، ويقولون أنه اختفى وأنه صاحب الزمان المهدى المنتظر الذى سوف يخرج ليصلح الدنيا بعد فسادها .

وهم يقررون أن الإمام معصوم ، وقد استغل الجهال هذا فأصبحوا يعدون كل من يتمسح بالدين ويتصنع الزهد والورع معصوما لا يسأل عما يفعل ، بل إننى سمعت من بعض أشياخ التصوف أن الخمر ينقلب فى أحنكتهم شربات ، والحشيش حلاوة، وهكذا اتخذ هؤلاء الفساق الدين لتحقيق مآربهم .

وكثير من المشعوذين ، والمضللين يتخذون الدين ستارا . وفكرة العصمة وسيلة لستر فسقهم وضلالهم ، ومنهم من لا يصلى ولا يصوم ولا يؤدى الفرائض الدينية ويتهتك عريانا فى الشوارع تحت ستار مايسمونه الولاية ورفع التكليف عنهم .

الفصل الرابع

الأضرحة والمزارات الصوفية

١ ـ مؤلفات الصوفية

٢ ـ الغزالي والتصوف

٣ ـ العصر المملوكي والتصوف

٤ ـ إذاعة الإتحاد بالله

٥ ـ وصف إبراهيم الدسوقي والبدوي

على لسان الشعراني وفي مؤلفاته

٦ ـ التعليق عليهما بقلم الدكتور أحمد

صبحي مدرس التاريخ بالأزهر

مؤلفات الصوفية :

فى العصرين المملوكى والعثمانى أصبح التصوف ثابت الأساس ، دين الناس جميعا ، ففيه تأليه الأولياء ، تلك كانتالسمة الواضحة فى تواليف هذين العصرين ،

وعدم الاهتمام بهذه الكتب والالتفات إليها ، هو تجاهل كبير لدراسة الواقع الديني.

وهذه الكتب تناقض التوحيد مناقضة صريحة ، فقد أوفت في وثنيتها على ماسبقها من العصور ، إنها أبعدت الناس أن يأخذوا دينهم من المنبع الصافى القرآن والسنة الصحيحة .

وهذه الكتب التى ألفت تحكى فضائل الصوفية ، وكراماتهم أحياء وأمواتا ، بل اعتبرتهم أحياء فى قبورهم يخرجون منها حيث شاءوا ليقضوا حوائج المستغيثين بهم ،والدافعين لهم النذور والأتاوات ، والعادات ، والعاكفين حول أضرحتهم ، حتى أصبح من يريد شيئا يحسب أنه لا يجاب الى طلبه الا إذا عاذ بضريح من قبور شيوخهم .

وقامت عقيدة التصوف على تقديس الأولياء أحياء وأمواتا و التبرك بأضرحتهم ومافوقها من النصب و التماثيل الموشاة بالذهب والفضة والديباج من يحلفون بهم، ولن يصدق أحد من الحالف الا إذا حلف بواحد منهم وهذا كان شيئا طبيعيا كنا نراه في القرى ونحن صغار ، ولازال يجرى للآن[1] .

---

(١) رأيت رجلا فى قريتى لا يحلف إلا بحياة صندوق طوطم من طواطم القرية ، هنا يصدقه الناس ، ولا يصدقونه إذا حلف بالله ؟!! .

والقرآن يهتف عاليا أن النبى صلى الله عليه وسلم ، ليس له من الامر شيئ ، قال تعالى ﴿ **أفمن حقت عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار** ﴾ (الزمر : ١٩) وقوله تعالى ﴿**ماعليك من حسابهم من شيء ومامن حسابك عليهم من شيء**﴾(الأنعام : ٥٢) .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك للناس نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله .

ويطبق الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك على نفسه فيوصى ابنته فاطمة بأن تعمل عملا صالحا ، لأنه لا يغنى عنها من الله شيئا ، ويحذر بني هاشم جميعا ، وعمه العباس من أن يأتى الناس بأعمالهم وتأتون أنتم يوم القيامة بأنسابكم ، ويقرر الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث له شريف أنه لن يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته[1] .

وشاعت الأحاديث الموضوعة تناقض قضية التوحيد ، ويذهب مشايخ الصوفية إلى إشاعة هذه الأحاديث ليجعلوا لأنفسهم مددا فيستغيث الناس بهم ، حتى كان الناس يقولون للسيد البدوى ، ياباب النبى ياسيد ..وبالرغم من شيوع الأحاديث المكذوبة مثل حديث «**توسلوا بجاهى ، فإن جاهى عند ربى عظيم** »، وحديث « **عبدى أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون** » ، وأحاديث دلائل الخيرات ، وأحاديث كتاب احياء علوم الدين ، فقد قام رجال وفقهم الله لفحص هذه الأحاديث سندا ومتنا وعرفوا زيفها وبطلانها أو ضعفها ، من هؤلاء الحافظ العراقى على الإحياء ، وفتح القدير للمناوى ، والشوكانى ، وغيرهم .

---

(١) يخطئ كثيرون فى فهم معنى هذا الحديث ؟! إن العمل مهما كان كثيرا فلن يجزئ عن نعيم الجنة الدائم إلا بفضل الله سبحانه وتعالى (المؤلف) .

وكانت كتب الصوفية تبعد أولياء الله عن الصفات البشرية وتصفهم فى الصفات الإلهية التى اختص الله بها من علم الغيب والتصريف فى الكون والعلم الإلهى اللدنى ، وما يتبع ذلك من حقوق لهم ، يتقربون إليهم بالنذور ويشركونهم أموالهم وأولادهم وزروعهم .

والتزكية بمعنى الولاية والصفات الإلهية تناقض صراحة مبادىء التوحيد الإسلامى، والله لا يشرك فى حكمه أحدا ، والله تعالى لا يعطى أحدا علم الغيب إلا لبعض رسله كنوع من الإعجاز .

والله تعالى قريب من عباده لا يحتاج إلى واسطة يقول تعالى : **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** والقرآن الكريم أسهب في التعلق بالتوحيد ، والدين الخالص في أغلب سور القرآن ، إن لم يكن فى القرآن كله .

والتزكية بمعنى وصف النفس بالصلاح والتقوى مرفوضة فى نظر الإسلام قالتعالى : **﴿ فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾** ، ومع أن الله سبحانه تعالى وصفه بالخلق العظيم بقوله تعالى **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ إلا أن الله نهاه أن** يزكى نفسه قال تعالى : **﴿ ماكنت بدعا من الرسل ﴾** ونهى أصحابه أن يفضلوه على الأنبياء فقال : **«لا تخيروا بين الأنبياء »** وقال **«ماينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ﴾** ونهى أصحابه على أن يزكوا أنفسهم ، وقال لرجل مدح صاحبه **«ويلك قطعت عنق صاحبك »** قالها مرارا ، وقال **« من كان مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب كذا ولا أزكي على الله أحدا »** فتزكية الشخص بأنه ولى الله وأنه فى الجنة مرفوضة تماما كما حدث فى قصة عثمان بن مظعون ، وهو من السابقين ، وصاحب هجرتين ، قالت عنه امرأة من الأنصار لقد أكرمك الله ، فقال

النبي وما يدريك بأن الله أكرمه ، قالت المرأة : بأبي أنت يارسول الله فمن يكرم الله؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أما هو ـ عثمان بن مضعون فقد جاءه اليقين ـ الموت والله إني لأرجو له الخير ، والله إني ماأدرى وأنا رسول الله مايفعل بي ، قالت المرأة: والله لا أزكى على الله أحدا .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل مدحه ، « ويلك أهلكتني وأهلكت نفسك » قال تعالى : « **فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** » (النجم : ٣٢) .

الصوفية تلامذة اليهود الذين زكوا أنفسهم ، واعتبروا أنفسهم أولياء ، ونقباء ، وأنجابا ، وأغواثا ، قال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا ، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا** ﴾ (النساء : ٤٩ـ ٥٠) .

وادعى اليهود أنهم أولياء الله فكذبهم الله فقال تعالى : ﴿**قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾ (الجمعة : ٦)

وهكذا تطورت التزكية من المدح الشخصى إلى الوصف بالألوهية فى العصور بعد القرن السابع الهجرى .

ونلاحظ : أن التصوف ارتبط بالقول فى العقائد والشطحات المتأثرة بالفلسفة الإتحادية التى كانت منتشرة قبل الفتح الإسلامى فى المدارس الفلسفية (أنطاكية ـ حران ـ اسكندرية ـ وجندياسور) حيث تنتشر الغنوصية والرواقية .

خمدت هذه المدارس الفلسفية عند الفتح الإسلامى مؤقتا ، حيث كانت العقيدة

الإسلامية خالصة صافية ، ثم عادت نشيطة في الدولة العباسية ، وظهرت هذه المبادىء تحت ألقاب جديدة أهمها التصوف .

وكانت الغنوصية ، تبحث عن المعرفة الإلهية ، وتسمى الذى يصل إليها «عارفا» ، وأصبح للولى الصوفى لقب «العارف بالله» للآن .

وقد ظهر التصوف فى القرن الثالث الهجرى ، ولكن كان فى حركة محدودة وقامت الدولة العباسية باتهامهم بالزندقة ، وكان الجاحظ أول من أورد اسم التصوف في كتابه البيان والتبيين فى القرن الثالث الهجرى ، وكان من أكثر أنصار التصوف الزهاد ، واصطنع الصوفية مبدأ التقية استقوه من مبادىء الشيعة أو (النفاق) .

ويقول المؤرخ المحقق الدكتور أحمد صبحى فى كتابه البحث فى مصادر التاريخ الديني أن أول من استعمل التقية الجنيد ، وأول من كتب فى مناقب الصوفية السلمى في كتاب طبقات الصوفية ، وبهجة الأسرار ولواقح الأنوار فى حكايات الصالحين ، ثم كتاب حلية الأولياء ثم القشيرى تقرر التصوف كمبدأ .

وفي القرن الخامس الهجرى تقرر التصوف كمبدأ وتبرير شطحات الصوفية، وظهر أعلام التصوف وسيطروا على الحياة الدينية العقلية ، وأشهر صوفية القرن الخامس الغزالي وقد عرف أولئك الصوفية بالمعتدلين أو السنيين .

والحقيقة أنه مع دراسة كتبهم وجدنا لا فرق بينهم وبين المتطرفين ، والمتطرفون كالحلاج والبسطامى كانوا أكثر جراءة وصراحة .

الغزالي والتصوف :

كان أخطر شخصية صوفية أثرت فى مجرى التصوف ، حيث تقرر التصوف طريقا للتدين ، وقد استخدم حصيلته من الفقه والفلسفة والكلام والجدال فى إرساء

التصوف ، ولم يكن في عصره من يدانيه في علومه الواسعة ، فكانت النتيجة انتصاره عليهم ، وتابعوه في قفل باب الاجتهاد .

وتأثر الفقهاء بالتصوف كما فعل ابن الجوزى إذ اختصر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني في كتاب سماه صفة الصفوة بالرغم أنه أنكر إنكارا شديدا في كتاب تلبيس ابليس ، ويؤخذ على ابن الجوزى أنه كتب كتابين منهما كتاب في مناقب ابن حنبل على النمط الصوفي فتراه لا يكتفى بتزكيته ، ويفرد أبوابا في الكتاب عن لقاء أحمد بن حنبل بالخضر والياس ، وثناء الأولياء عليه وتبركهم به وحبه للفقراء، ثم يتحدث عن موته ومن تأثر من الجن بموته والمنامات التي رؤيت له بعد موته ، والمنامات التي رآها في حياته ومنها رؤيا يدعى فيها أنه رأى الله تعالى في المنام مائة مرة ، وقد تحدث بهذا أيضا الغزالي في كتابه احياء علوم الدين وذلك قول مفترى .

ثم تحدث ابن الجوزى عن فضيلة زيارة قبره والمجاورة عنده وشفاعته لمن دفن إلى جواره ، وصاغ ذلك بالمنامات .

راجع في ذلك إذا أردت اسهابا في هذا الموضوع كتاب البحث في مصادر التاريخ الديني ص٦٨ ومابعدها للدكتور أحمد صبحي منصور أكرمه الله .

دارت الأيام تقرر التصوف على يد الغزالي في القرن الخامس وفي العصر المملوكي قد ساد التصوف فاضطهد الفقهاء .

وفي تاريخ ابن تيمية يظهر هذا الاضطهاد لابن تيمية رضى الله عنه حتى أنه مات في السجن .

ذكرت سابقا أن الفقهاء بعد عصر الغزالي تأثروا بتصوفه وكانوا قد أنكروا

شطحاتهم ولكنهم بعد ذلك برروا مناماتهم ، وألصقوها بالأئمة الكبار في الفقه مع أن إنكار أحمد بن حنبل للصوفية معروف ، فقد حمل عليهم حملة شعواء واحتقار الشافعي لهم ذكره ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس .

ولم يكن التصوف قد ظهر بعد في عصر أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما ، وكان ابن الجوزي سباقا إلى كتابة هذه المناقب .

ولي هنا ملاحظة جديرة بالتحقيق أذكرها قائلا : لعل العذر في هؤلاء الذين مجدوا الصوفية كالغزالي وابن الجوزي نشأ من دخولهم في بطون التصوف بادئ ذي بدء ، فلما انتهى أمر أبحاثهم إلى معرفة الحق في التوحيد رجعوا إليه وتركوا أساطير الصوفية ، وذلك ماأميل إليه وما تدل عليه كتبهم ، في كتاب تلبيس ابليس مجموعة فضائح لهؤلاء القوم الذين أشادوا بنيان التصوف ، ومؤلفات الغزالي في أواخر أيامه مثل كتاب تهافت الفلاسفة وغيره تدل دلالة لاريب فيها إلى رجوعه إلى عقيدة السلف ، وقد دافع عنه فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى في كتابه «مايجوز الخلاف فيه ومالا يجوز الخلاف فيه» من أنه رجع إلى منهج السلف قبل موته ، ولم يصر على خرافات الصوفية ، ذلك دفاع رأيت أن أضعه لعله حقيقة ، والله أعلم .

العصر المملوكي والتصوف :

ذكرت سابقا أن ابن الجوزي الحنبلي والحنابلة جميعا كانوا أشد الناس تعصبا ضد الصوفية ، ولما تطورت الأحوال الاجتماعية وسادت الخرافات لقى أئمة الفقه العذاب الشديد من الصوفية .

وذهب الصوفية إلى تزكية أنفسهم ، وذكر مناقب نفسه ، ويقيمون حفلات تكريم ويعدد كراماته وجاهه عند الله وعند الناس ، والناس والعلماء يتقبلون هذا

بدون أدنى شك وبدون احراج أو استنكار ، وعلى سبيل المثال والحصر نذكر ما كتبه الدسوقي عن نفسه في كتاب الجوهرة .

كتاب الجوهرة تأليف إبراهيم الدسوقي ويسمى أيضا كتاب الجواهر وكل من كتب عن الدسوقي ونشأته وطريقته يعتمد على هذا الكتاب .

والشعراني عند ترجمته لحياة الدسوقي بعد موته بثلاثة قرون يقول : هذا مالخصته من كتاب الجواهر للدسوقي رضي الله عنه وهو مجلد ضخم .

ولما ألف المناوى طبقاته رجع إلى كتاب الجواهر للدسوقي ويقول : بعد أن ذكر اراءه أنه نقل عنه وهو مجلد ضخم فيه عجايب ، والشعراني سار على هذا الدرب .

وكتاب الجوهرة لازال بأيدينا طبعتان الأولى نشرته مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٣ .

وقد حقق المؤرخ الثقة الدكتور أحمد صبحي منصور أستاذ التاريخ بالأزهر سابقا المطبوع على المخطوط فيما أورده في كتابه البحث في مصادر التاريخ الديني ص١٠٥ .

وهأنذا أقطف بعض أزاهير هذا الكتاب ، ولكنها أزاهير تحوى في ثناياها السم الزعاف ، وأترك للقارىء أن يحكم عقله ودينه فيما ورد من أقوال هؤلاء الصوفية إذ لم نجد خلافا بين السلف والخلف ، وإن بدا لنا منهم حسن مبتسم فادعاؤهم أنهم يقيمون الشريعة الإسلامية بأذواقهم ، ومناماتهم ،شطحاتهم اللدنية ويشيدون الأضرحة الموشاة بالذهب والفضة و المسنمة بالأصنام التماثيل داخل المساجد .

ماذا قال الشعرانى عن الدسوقى ؟:

انظر ٩٩ ومابعدها من كتاب الطبقات الكبرى ، قال : قال شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه وعنا به ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته (هذا كلام الشعرانى وليس كلامى) قال : أنا موسى فى مناجاته ، أنا على فى حملاته ، أنا كل ولى فى الأراضى جميعهم ، بيدى خلع الفقراء ألبستهم ، الله ربى وربهم ، ورب كل شىء ، أنا فى السماء ، شاهدته ، على الكرسى خاطبته ، أنا بيدى أبواب النار غلقتها ، أنا بيدى الفردوس فتحتها ، من زارنى (أوزار رسول الله صلى الله عليه وسلم) بيدى جنة الفردوس أسكنته .

ملحوظة : لو قرأت هذ الخرافات أيضا فى الكتاب المعروف ابراء الذمة فى نصح الأمة وهو كتاب يهذى للمدعو الشيخ البرهاني ، وفيه كفريات أسرع إخواننا فى الأزهر بإصدار فتوى بتكفير صاحبه ، وقام العلماء الأفاضل بثورة فكرية ضد هذا الكتاب ماعدا بعض صوفية الأزهر فقد وقفوا منه موقفا مطمئن النفس ، وقد رد على مفتريات هذا الكتاب الأخ الباحث محمد عبدالله السمان فى كتاب (تأثيم الذمة فى تضليل الأمة) أرجو الرجوع إليه .

نعود إلى أقوال الدسوقى وترهاته قال : اعلم ياولدى أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، متصلون بالله ، وما كان ولى متصلا بالله إلا وهو يناجي ربه ، كما كان موسى يناجي ربه وقد كنت أنا وأولياء الله أشباحا فى الأزل بين يدى الله القديم الأزل ، وبين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن الله خلقنى من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال: ياإبراهيم تقدم ، فتقدمت ، فقال لى : ياإبراهيم أنت مقدم عليهم . ونقب

عليهم ، هذا ورسول الله نور يتلألأ بين يدى ربنا جلت قدرته ، وهو كقاب قوسين أو أدنى ، وهو اجتماع الأحبة ولهذا قلت :

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا — وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة

فأمرني سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخلع عليهم بيدى فقال لى : ياإبراهيم أنت من نورى اخلع عليهم بيدك فخلعت عليهم بيدى وأنا من نوره صلى الله عليه وسلم وليا قبل أن يخلق الأكوان والموجودات فكنا على الدرة البيضاء والأولياء حولى ولهذا قلت :

وكل ولى للإله مؤيد — ليشهد أنى ثابت فى ولايتى

فهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فكنا نسبح الله ونعظمه ونمجده ونوحده ونحن أشباحا بين يدى الله عز وجل وجبريل بيننا وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل حولنا وربنا عز وجل وهو أعلم ينظر ويسأل أين كنتم فيقولون كنا نسبح مع أولئك المقربين منك ، فيقول الله عز وجل قد غفرت لكم ولهم ولمن يتبع طريقتهم ويقتدى بهم ، فهم الذين لا يشقى بهم جليسهم ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يسير بأشياخهم إلى الجنة .

وكان أخى عبدالقادر الجيلاني خلفى ، وابن الرفاعى خلف الجيلانى ومقدم على بقية الأولياء . هذا ونحن أشباح فى الأزل ـ كل الكون أشباح ـ فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى : ياإبراهيم سر إلى مالك وقل له يغلق النيران وإلى رضوان وقل له أن يفتح الجنان فجئت إلى مالك وقلت له : أمرك سيدك أن تغلق النيران قال : من سيدك ؟ قلت : الذى خلقت من نوره . قال أنت من نور من خلقت ؟ قلت : من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال مالك : إن

رسول الله لما يمر على النار تغلق بغير إذني فإن كنت من نوره فأشر إليها فأشرت إليها فغلقت أبوابها ، ثم مضيت إلى رضوان ، وقلت : أمرك سيدك أن تفتح أبواب الجنان فقال : ومن هو سيدك قلت : النبي صلى الله عليه وسلم الذى خلقني من نوره قال رضوان: إن رسول الله إذا أشار إلى الجنة تفتح أبوابها بغير إذني ، فإن كنت من نوره فأشر إليها تفتح ، فأشرت إليها ففتحت أبوابها بقدرة الله تعالى ، ثم جئت إلى رسول الله فسار بنا إلى الجنة فكان رسول الله أمامي وأنا من خلفه وابن الرفاعي من خلف عبدالقادر ، وأنهما قرءا علي ونحن في الجنة فعلمتهما مما علمني رسول الله ، فامتلأ من العلم مالا تحمله غيرهما من الأولياء إلا ما كان من علم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقاما بعلمهما على من تقدم بعلمهما على من تقدم من الأولياء وكان حاضر معنا عبد الله يسمعني و أنا أذكر في مناجاة ربي فعارضني وقال يا إبراهيم تأدب : إنما ناجى الله موسى بن عمران ومن أين لك أن تناجيه كما يناجيه موسى فقلت ياعبدالله أما علمت أني خلقت من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم يناجي ربه في حضرة قدسه ، جل ربناوتعالى وأنا من نور حبيبه ويقول ربنا سبحانه وتعالى جلت قدرته لنبينا محمد اخلع نعليك ودس بساط قدرتي ، وسل تعط واشفع تشفع ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا اغفر لنا ذنوبنا أخي موسى كليمك مايدوس على البساط ، فيقول الله عز وجل: يامحمد موسى كان كليمي ، وأما أنت فقد اتخذتك حبيبي ونديمي فأكون معه نورا من نوره صلى الله عليه وسلم .

ثم يتابع الشعراني خرافاته ويقول : قال شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى برهان الملة والدين سيدى إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه وأرضاه وأعاد علينا والمسلمين من

بركاته . فلما كان هذا من عند الله التفت إلى رسول الله فقلت له يارسول الله إن كنت تعلم أني خلقت من نورك فاهد عبدالله إلى الحق «أنا المؤلف لا أدرى من هو عبدالله هذا» .

فلما سمع أخي عبدالقادر وابن الرفاعي غشي عليهما ، وكذلك كل ولي حاضر معنا وهاموا وطربوا وطربو وتواجدوا حين سمعوا خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ياعبدالله كن من إبراهيم على حذر فإنه من نوري ومن نشأتي فلهذا قلت نعم :

نشأتي في الحب من قبل آدم ومن قبل إيجادي ظفرت ببغيتي

له شعر آخر قال فيه :

نعم نشأتي في الحب من قبل آدم وسرى في الوجود من قبل نشأتي

فقال عبدالله : يارسول الله : إن إبراهيم يقول إن من زاره فقد زارك ومن زارك فقد زاره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له وللأولياء العلماء بالله الذين هم في حضرة الإله ، ياأولياء الله إن الله قد ولاه درك الثلث في السماوات والأرضين ومن زارني فقد زاره ، ويكون كمن حج حجة مقبولة ، فلذلك قلت:

حجوا إليّ فذاتي كعبة نصبت والسر فيها كسر البيت والحرم

يواصل الشعراني خرافاته ويقول :

ثم قال شيخنا وقدوتنا إلى الله سيدنا إبراهيم الدسوقي فسرت والأولياء كلهم أشباح خلفي ، والنبي صلى الله عليه وسلم أمامي حتى دخلنا معه الجنة ، وكانت الحور العين قد كشفوا ثيابهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوني

أرادوا أن يتلثموا ، فقاللهم النبى : لا تتلثموا فإنه من نورى ، ولما دخل الأولياء الجنة ونظروا لى أرواح المؤمنين سكروا بغير مدام وأسبلت الحور لثامهن فبكى الأولياء وضحكوا لما رأوه وتاهوا وغابوا وتواجدوا فلهذا قلت :

على مذهبى كل المحبين تيمموا ونشأة جمر همتهم فهمهموا

وكل ملاح الحى أرخوا لثامهم على وعن غيرى أبوا وتلثموا

أنا الصاحى السكران بغير خمرة أنا الضاحك الباكى وسرى مكتم

واعلموا ياأولادى أن هذا مذهب عباد الله وأوليائه وسر من أسرار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتمته وعلى القلب أبديته ، فلهذا قلت وسرى مكتم .

إذا ماحضرنا والرقيب بمعزل ترانا سكوتا والهوى يتكلم

قال الشعرانى : وهذا فضل آخر من كلام سيدنا وأستاذنا وقدوتنا إلى الله تعالى سلطان الأولياء وسكردان الأصفياء ، برهان الملة والدين وقطب الأولياء المحققين العلم المفرد والإمام الأوحد سيد إبراهيم الدسوقى نفعنا الله به وأعاد علينا من بركاته ، مما فتح الله به على قلبه من فتوح الغيب من رياض النفس فى حضرة القدس .

قال : مسكت من تحملهم الريح وقيل إنهم من أولياء الله الطيارة وأنزلتهم إلى الأرض وأنا ابن سنة ، وأمسكت من يمسك الريح .

وقيل أنهم من جن الأرض ، وأقرأتهم القرآن وأنا ابن سنتين ووليت الولاية وأنا ابن ثلاث سنين ، وفتح لى من العناية قدر خرم ابرة فرأيت مابين المشرق والمغرب وأنا ابن أربع سنين ، فبينما أنا على وضوء اختتام الأربع سنين ، وإذا أنا بتفاحة جميلة

المنظر كثيرة الرائحة قد سقطت في حجرى فنشرتها من حجرى وقلت في نفسي لعلها أن تكون لقطة فلاتجوز لى أكلها إلا بعد تعريفها ، فنوديت في سرى أن ياإبراهيم خذها وكلها فإنها هدية من الله تعالى إليك من ثمار الجنة ، فلما سمعت ذلك في سرى أخذتها وأكلتها وبينما أنا في أثناء أكلها وقد أكلت نصفها إذ نوديت ثانيا في سرى أن ياإبراهيم إلزم مابقى منها فإنه يكفيك ما أكلته فرميت ما في يدى منها وهو النصف الآخر ، فنوديت ثانيا في سرى أن ياإبراهيم انظر ما حصل في قلبك بعين بصيرتك لا ببصرك من سر ماأكلته من التفاحة فنظرت فرأيت روحي قد جالت في الملك والملكوت وإذا أنا واقف بين يدى الحي الذى لا يموت ، فسررت بتلك العظمة التى حصلت لى من تلك الهدية . ونطقت ما أعطانى رب العالمين وأنا ابن خمس سنين . وقد شاهدت ما فى العلا وأنا ابن ست سنين ، وجاوزت مرتبة كل ولى . وصرت في سواء أنا وأخي عبدالقادر الجيلانى وأنا ابن سبع سنين ، والفخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين ، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، وقرأت في السبع المثانى حرفا معجما حارت فيه الثقلان الجن والرنس ففهمته أنا مما علمنى ربى ، فحمدت لمن له الحمد على معرفة الحمد وأنا ابن عشر سنين ، ووضعت قدمى في الدنيا فلم تسعه فرفعته وعلمت أنه لم تسعه إلا رحمة أرحم الراحمين وأنا ابن أحد عشرة سنة . ونقلت مريدى من الشقاوة إلى السعادة أى من النار إلى الجنة بإذن العلي الأعلى وأنا ابن اثنى عشرة سنة . وجعلت الدنيا كلها في يدى كالكرة أو كخاتم في أصبعها أقلبها كيف أشاء بإذن ربى وأنا ابن ثلاث عشرة سنة . وحركت ما هو ساكن في الكون بإذن القادر المقتدر وأنا ابن أربعة عشرة سنة ، وخاطبت جبريل عليه السلام وأنا ابن خمس عشرة سنة ، وجاوزت سدرة المنتهى وأنا ابن

ست عشرة سنة فكنت أقف على الثرى ، وأرى ما يخطه القلم فى اللوح المحفوظ كرؤية أحدكم الأناء على يده وأنا ابن سبع عشرة سنة ، وإن ربى قد أطلعنى على جميع العلوم ، وما فى الكون من الرسوم ، والسنين والشهور والأيام ، والليالى ، وساعاتها ، ودقائقها ، وما يحدث فى جميعها من خير وشر .

وصف إبراهيم الدسوقى على لسان الشعرانى :

من ذلك قوله : هو من أجلاء المشايخ الفقراء أصحاب الخرق ، من صدور المقربين صاحب كرامات ظاهرة وأحوال خارقة وأنفاس صادقة وهمم عالية ومآثر ظاهرة وبصائر طاهرةورتب سنية ومناظر بهية وإشارات نورانية ونفحات روحانية وأسرار ملكوتية وحاضرات قدسية له المعراج الأعلى فى المعارف والمنهاج الأسنى فى الحقائق ، والطور الأرفع فى المعانى ،والقدم الراسخ فى أحوال النهايات ، واليد البيضاء فى علوم الموارد ، والباع الطويل فى التصريف النافذ ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات والفتح المضاعف فى معنى المشاهدات ، وهو أحد ماأظهره الله عز وجل إلى الوجود ، وأبرزه رحمة إلى الخلق ، وأوقعله القبول عند الخاص والعام ، وصرفه فى العام ، ومكنه فى أحكام الولاية ، وقلب له الأعيان ، وخرق له العادات ، وأنطقه المغيبات وأظهر على يديه العجائب وصومه فى المهد ، وله كلام كثير على لسان أهل الطريق ، وكان يتكلم السريانى والعجمى والعبرانى والزنجى وسائر لغات الطيور والوحوش . ومن أشعاره :

سقانى محبوبى بكـأس المحبـــة ... فتهت عن العشـــاق سكرا بخلـــوتى

ولاح لنـا نور الجلالة لـو أضـــاء ... لصم الجبـال الـراسيـات لـدكت

وحكمتى فى سائر الأرض كلهـا ... وفـى الجـــن والأشبـــاح والمـــردة

أنا الحرف لا أقرأ لكل مناظر وكل الورى من أمر ربى رعيتى

وكم عالم قد جاءنا وهو منكر فصار بفضل الله من أهل خرقتى

وما قلت هذا القول فخرا وإنما أتى الإذن لى كى لا يجهلون طريقتى

ومن أشعاره أيضا يخاطب الله تعالى :

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة فشاهدته فى كل معنى وصورة

وخاطبنى حتى لكشف سرائره فقال أتدرى من أنا قلت منيتى

فأنت منايا بل أنا أنت دائما إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى

فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته بغير حلول بل بتحقيق نسبتى

فصرت فناء فى بقاء مؤبد لذات بديمومة سرمدية

أنا ذلك القطب المبارك أمره فإن مدار الكل من حول ذروتى

أنا شمس إشراق العقول ولم أفل ولا غبت عن قلوب عميت

وبى قامت الأنباء فى كل أمة بمختلف الآراء والكل أمتى

وما شهدت عينى سوى عين ذاتها وإن سواها لا يلم بفكرتى

بذاتى تقوم الذوات فى كل ذروة أجدد فيها حلة بعد حلة

وانظره يقول عن نفسه أو عن الحقيقة الإلهية يردد مبدأ وحدة الوجود :

فليلى وهند والرباب وزينب وعلوى وسلوى بعدها وبثينة

عبارات أسماء بغير حقيقة ومالوجود بالقصد إلا صورتى

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم وسرى فى الوجود من قبل نشأتى

أنا القطب شيخ الوقت في كل حـالة ‏ ‏ ‏ ‏ أنا العبـد إبراهـيم شيـخ الطريقة

المؤلف : أشهد لقد سمعت هذه القصيدة ومأطولها سنة ١٩٢٣ وأنا طفل صغير في مولد هذا الطوطم في قريتي ، وطوائف الصوفية ترقص كل فرقة لها نوع من الرقص فبعضها يشبه السامبا وبعضها يشبه الرومبا ، والمنشد ينشد بهذه القصيدة على أنغام تصفيق الأيدي ، وهز الأرداف ، والشهيق والزفير والصراخ وطلب المدد ...الخ.

التعليق على هذيان الدسوقي :

للأخ الفاضل الدكتور أحمد صبحي منصور تعليق على ترهات الصوفية أجمعين تعليق يسانده البحث العلمي الدقيق ، والعقل السليم ، تحت مظلة الشريعة الإسلامية، وقد علق على القصيدة السابقة في كتابه البحث في مصادر التاريخ الإسلامي ص١١٤ أقتطف منه بعض الأجزاء :

يبدو أن الدسوقي في النصوص المنقولة عن الجوهرة قد غلف ادعاءاته بالألوهية بما يعرف بالحقيقة المحمدية .

والحقيقة المحمدية مذهب صوفي يعني أن الذات المحمدية نورانية مشتقة من نور الله ، وجدت قبل خلق آدم والعالم وتنقلت بعده في علي رضي الله عنه وسلالته ، وقبله تنقلت في الأنبياء صلوات الله عليهم ثم في الأقطاب الصوفية .

ويدعي الدسوقي أنها حلت فيه وعلى هذا الأساس يدعي أنه المسيطر على الجنة والنار الريح واللوح المحفوظ والدنيا بأسرها والكون إلى آخر مايدعيه .

والنصوص المعبرة عن عقيدة الحقيقة المحمدية تظهر في أقوال الدسوقي مثل قوله « أنا موسى في مناجاته ، أنا علي في حملاته » وقوله « قد كنت أنا وأولياء الله

آشباحا فى الأزل بين يدى الله القديم الأزل ، وبين يدى النبى ، وأنا من نوره خلقنى الله عز وجل من نوره وليا له قبل أن يخلق الأكوان والموجودات » ووحدة الوجود معناها أن الكون المخلوق جزء من الله الخالق تعالى الله علوا كبيرا ، كقوله :

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة فشاهدته فى كل معنى وصورة

فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته بغير حلول بل بتحقيق نسبتى

والدسوقى متأثر بتائية ابن الفارض ، وتائية ابن عربى فى الوزن والقافية والمعنى ، وهى ادعاءات أفظع مما ادعاه مسيلمة الكذاب الذى ماإجترأ إلا على دعواه النبوة فقط فلم يدع أنه اتحد بالله أو حل به كما يقول الصوفية .

إشاعة الاتحاد بالله :

وقد شاعت قبل الإسلام فى الشام والعراق فى العصر المسيحى بين الناس مايسمونه بالكلمة الإلهية «اللوجوس» ومنجانبهاآمن النصارى أن المسيح ابن الله مخلوق من نوره ، وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم « **لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر حتى لوسلكوا جحر ضب لسلكتموه** » وهذا ماحدث فمقولة أن المسيح ابن الله ظهرت فى التصوف الإسلامى تحت اسم الحقيقة المحمدية النور المحمدى الأول الأزلى الذى وجد قبل خلق العالم .

وعقيدة الإتحاد بين الله والناس أظهرها التصوف بحذافيرها ، ومن قبل قال النصارى ﴿ **نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق** ﴾ .

يقول الأستاذ الكبير محمد البهى « كان التصوف زهدا فأصبح ضربا من ضروب

الفلسفة ثم مال إلى وحدة البراهمة وحلول المسيحية ووحدة البراهمة » .

وعلماء العقيدة الإسلامية يرون أن هذه الفكرة وأضرابها تنقض عقيدة التوحيد من جذورها ... الخ .

والشعرانى وهو صوفى لا يبخل على نفسه ولا على شيخه من عرض مناقبه الموصوفة بالصفات الإلهية ، راجع لطائف المنن للشعرانى .

الفصل الخامس

١ ـ الولاية وشروطها ، ومن هو ولى الله ؟!

٢ ـ الصوفية يحذرون الناس من غضب طواطمهم على الناس ، ويقصون في ذلك حكايات خرافية .

٣ ـ كفار قريش كانوا أقل كفرا من الصوفية .

٤ ـ بعض شعائر الصوفية .

٥ ـ قذائف النور على باطل عبادة القبور .

٦ ـ من أقوال أولياء الصوفية .

من هو ولى الله :

قال تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ ووصفهم الله بقوله :﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**﴾ (يونس ٦٢ : ٦٤) .

وفى آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿ **والله ولى المتقين** ﴾ (الجاثية : ١٩) ويقول : ﴿ **إن أولياءه إلا المتقون** ﴾ (الأنفال : ٣٤) .

وفى الآية الأخيرة آستعمل القرآن الكريم اسلوب القصر : أى أن الله سبحانه وتعالى لا يوالى إلا المؤمن التقى ، وآيات أخرى عديدة منها قوله تعالى :﴿**والله ولى المؤمنين** ﴾ (آل عمران : ٦٨).

ومعنى ذلك أن ولى الله تعالى لابد أن يتصف بصفتين أساسيتين هما : الإيمان، والتقوى .

والإيمان والتقوى صفات عامة لا يختص بها شخص معين أو جنس محدد أو طائفة خاصة ، وصفات الولاية مطروحة أمام البشر جميعا .

فعن الإيمان يقول الله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾(البقرة : ٦٢) .

إن القرآن يعطينا صورة القبول : من جميع الرسل ، فكل من آمن بالرسل قديما

كمن آمن بخاتم الرسل ، ولايفرق بين أحد من الرسل ﴿**لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

والقرآن يوضح ذلك في قوله تعالى عن أتباع الرسل جميعا ﴿**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

والتقوى : مطلوبة من جميع المؤمنين قال تعالى : ﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ وقوله تعالى :﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ﴾(النساء ١٣١: .

وصفات الولاية تقبل الزيادة والنقص حسب الصراع القائم داخل الإنسان بين الخير والشر ، والعصمة لله وحده وفي الزيادة والنقص يقول القرآن الكريم في حق المؤمنين ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا** ﴾ (الأنفال :٣) .

ويقول : ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون** ﴾ (يونس ١٢٤: .

وما يقبل الزيادة يقبل النقص وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون** ﴾(المطففين ١٤) .

فالتقوى حركة مستمرة في الإنسان ولا يخلو المؤمن من النزغ الشيطاني وطوائفه ولكنه دائما مع ربه بالتوبة والإنابة ، كما قال تعالى في سورة الأعراف الآية ٢٠٠ وما بعدها : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم**

مبصرون ﴾ والنفس الإنسانية بين الإلهام بالتقوى والفجور ، فالصراع الفطرى قائم، قد ينجم عنه بعض زلات فيسارع المؤمن بالاستغفار والتوبة ، وهذا لا ينقص من الولاية بالتوبة الصادقة ، ومن الطبيعى والبشر غير معصوم أن تؤثر فيه بعض المحن ، وقد يقع في بعض الحبائل التى ينصبها له الشيطان ، فلن يكون وليا إذا استسلم ، وأعرض عن ذكر ربه ، والمؤمن ملتزم دائما بالرجوع إلى الله وقد بين الله سبحانه وتعالى الوسائل التى يدفع بها الشيطان .

والإيمان والتقوى لا يعلم حقيقتهما إلا الله وحده ، والله يقول : **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾** وربما يكون أكثر تظاهرا بالإيمان هم أكثرهم نفاقا ، فالإيمان تعامل بين العبد وربه فهو وحده الذى يعلم خطرات القلوب ، وما انطوت عليه .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب **﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ﴾** (الأعراف: ١٨٨) .

ولذلك فإنه لم يعلم بحقيقة نفاق بعض الناس ، حتى أخبره الله بذلك ، قال تعالى : **﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾** (التوبة : ١٠١) .

ويقول تعالى : **﴿ والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض ﴾** (النساء : ٢٥) .ويقول الله سبحانه وتعالى للرسول والصحابة ممن أسلم من المؤمنات المهاجرات : **﴿ فامتحوهن الله أعلم بايمنهن ﴾** (الممتحنة : ١٠) .

ومادام الإيمان والتقوى صفات قلبية ، فلن يعلم أسرارها أحد إلا الله ولم يطلع عليها أحد من البشر حتى الرسل المكرمين فنحن لا نستطيع أن نحكم على إيمان

شخص ، ولا نستطيع تبين درجة تقواه فكل ذلك غيب والله وحده يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وقد تفضح بعض الناس دعواهم بالإيمان تفضحهم أعمالهم ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ (المائدة : ٤١) .

والمؤمن التقي الصالح يعيش دائما بين رجاء وخوف ، قد يغلب الآخر على الأول في حياته أو العكس ، ذاكرا قول الله تعالى : ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾ ونحن نعرف من آثار الصحابة أن عمر بن الخطاب وهو من هو في منزلته المبشر بالجنة يقول : « لو قامت القيامة وقيل للناس جميعا ادخلوا الجنة إلا واحدا لحسبت أنني ذا الواحد » ، والمؤمن الحق لا يزكي نفسه ، وكما سبق أن وضحت أن الصوفية جميعا تزكي نفسها ،، ويزكي بعضهم بعضا وتلك من أخلاق اليهود ،قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا** ﴾ وهم يجعلون أنفسهم واسطة بين الله والخلق ، أو أكثر من ذلك كما هو واضح في شعرائهم الدسوقي السابق عرضه ، إنه هو الكل في الكل وتلك عقيدة وحدة الوجود السابق التنويه عنها ، والإنسان بين جذب(بسط) وسلب (خفض) يسير في خوف ورجاء فهو في حاجة إلى تأييد الله له وتوفيقه ، لا يعلم مصيره إلا الله ، ولن يكون الإنسان موفقا بقبول عمله إلا إذا اجتاز أسباب حسابه يوم القيامة عند رب العالمين ، وقد يبشر أو ينذر بما يكون مصيره عند موته ولكن الحكم النهائي لله سبحانه وتعالى في الآخرة ، في سورة الحديد نقرأ قول الله تعالى:

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ (الحديد : ١٤) وقوله تعالى : **﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾**هذه الصورة توضح أنهم كانوا يسيرون وراء الناجين فى الآخرة فى نورهم والله أعلم أنهم كانوا في الدنيا يخادعون الله والذين آمنوا فجزاء الخداع خداع مثله ومن مكرهم يمكر الله بهم فيسد السور عنهم النور .

وفى لحظة الحشرجة يرى كل إنسان بشرى موضعه من الجنة أو إنذار موضعه من النار كما جاء في الآية الكريمة : **﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾** (الواقعة : ٨٣ ـ ٨٥) .

وفى الحديث المتفق عليه « **إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن النار ، ويقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة** » . ومادامت هذه الأمور داخلة فى الغيب ، فنحن نؤمن بها ولا نعرف كيفيتها وكيفية شعور الإنسان بها حين موته وحين دفنه وقبره .

فلا داعى لأن يتظاهر بعض الناس بأنهم هم العارفون بمصائر الناس ، لا داعى للتظاهر بكلمة الولاية وما شاكلها من القطبية والبدلية وماإليها من ترتيب الأولياء كأنهم فى حبس لكل إنسان لقب خاص به .

وولى الله لا يخاف ولا يحزن ، فالملائكة عند موته وفى قبره ، وفى بعثه تبشره ،

تطمئنه برب غفور قال تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ (فصلت : ٣٠ ـ ٣١) ، وتعرض على الكافر مقعده من النار لأنه من أولياء الشيطان ﴿**والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت**﴾ (البقرة : ٢٥٧) .

أخلص من ذلك أن الولاية المقبولة لا يعلمها إلا علام الغيوب وإذا طبقنا على الصوفية هذا المبدأ العام ، لاستحال وصفهم بأولياء الله بعدما قدمنا منهجهم الوثني ، وزاد بعضهم في ادعاء الألوهية ، وإذا كنا لا نعرف سريرة شخص للحكم عليه ، فما بالنا وهم أنفسهم يظهرون سريرتهم في مناهجهم ، وسنأتي بسيرة صوفي آخر بلغ القمة في الصوفية ويحج إليه الملايين من البشر كل عام بل ويعد ضريحه ديوان يرسل الناس إليه بشكاتهم إليه في رسالات زاعمين أنه يقرؤها ويتصرف فيها منهم مشايخ تولوا قيادة الأزهر الشريف ، فمما قرأته أن أحد المشايخ الكبار في عصر إسماعيل باشا[1] كتب شكوى ضده وأرسلها بالبريد إلى طنطا ، ومنها إلى قبر السيد البدوي ، حيث تقوم محكمته داخل قبره ؟!! .

وقد أوضح القرآن الكريم صفات الولي الظاهرة ، وترك سريرته إلى علم البارئ العظيم ، فهو الذي سيظهره عليها يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾ (الزمر : ٤٧) ، ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ (ق:٢٢) .

والمسلم الحق لا يزكي نفسه ، كما يزكي الصوفية أنفسهم ، انظر إلى كتب

---

(١) لعله الخديو توفيق .(المؤلف) .

الصوفية ، إنهم يزكون مشايخهم ، وتزيد بهم الجرؤة أن يعطوا لهم من الصفات الإلهية ، بل منهم من يجعله إلها واحدا قهارا غوائا ، ألم يقل شاعر قديم لأحد الخلفاء الفاطميين :

ماشئت لا ماشاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

قُتلت الصوفية (بضم القاف) ما أجرؤها كأنها فضلت طواغيتها عن الله نفسه ووالله لقد عايشت أحد التجار في القرية إذ أنه عندما يحاسب زبائنه يقسم بصندوق أحد الطواطم في القرية ، قلت له لماذا لا تقسم بالله ؟!قال إنهم هنا لا يرضون بقسم الله ولا يرضون إلا بقسم صندوق نذور الضريح أو سور الضريح لسيدنا فلان .

إن الصوفية تجرأت على الله ، ففرضت عليه أولياء بما يشادون هم ومعنى اتخاذ أولياء وسائط ، لا يشتغلون إلا بالنذور (أى الرشاوى) ففيه وصف لله تعالى بالعجز والجهل والظلم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

إنهم بذلك يصفون الله بالظلم حاشاه ، فقد اتخذ أناسا ليس فيهم ذرة من الصفات الإسلامية ، ويجهرون بعقائد مجوسية فسماهم الناس أهل القرب وأهل الدلال على الله سبحانه وتعالى .

لقد أصدر الصوفية وأتباعهم قرارا (فرمانا) بأن فلانا ولى الله ، وفلانا القطب ، وفلانا الغوث ، واخترعوا لكل واحد منهم كرامات ومعجزات لا يصدقها إلا مهابيل مستشفى الأمراض العقلية فمثلا يقول الصوفية الرفاعية أن أحمد الرفاعي وقف أمام القبر الشريف وأنشأ :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها   تقبل الأرض عنى وهى نائبتى

فالآن دولة الأشباح قد حضرت   فامدد يديك كى تحظى بها شفتى

قال الراوى : فمد النبى صلى الله عليه وسلم يده من القبر الشريف فقبلها أحمد الرفاعي .

ومن الغريب أنهم يعرفون أن الصحابة كانوا أولى الناس بذلك[1] ؟! فكيف لا يحدث هذا للصحابة ؟ وهل الرسول جالس في قبره يمد يده لمن يطلب ؟! خرافة غريبة ليست للرفاعى وحده بل لكل شيخ طريقة صوفية يزعم ذلك ، قال الله تعالى: **﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء .إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ،الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾** (الكهف : ١٠٠ وما بعدها) .

وقال تعالى : **﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحى الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾** (الشورى : ٩) .

والمؤمن يكتفى بالله وليا : **﴿ وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيرا ﴾** (النساء: ٤٥) .

والمؤمن يعتقد أن الله يكفيه فلا يخش ادعاءات المشركين حول تصريف أوليائهم المزعومة : **﴿ أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه ﴾** (الزمر : ٣٦) .

والمؤمن يعرف جيدا أن الذى يصيبه من خير أو شر من الله سبحانه وتعالى وأنه لا تصريف لأحد في هذا الكون إلا الله سبحانه وتعالى ، يعرف قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعظ ابن عباس **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن**

(١) من الغريب أننى ناقشت أحد أساتذة الجامعة من المعروفين بالغزل الجسدى باسم التصوف ، قال لى : إن الصحابة اختصوا بصحبة النبى، وهذا فضل ، والصوفية اختصوا بهذه الكرامات اللدنية ، هذا كلام غريب ، ودفاع مريب من متغزل صوفى فى النساء ويحاضر فى الجامعة . (المؤلف)

بالله ، واعلم أن الأمة إذا اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .

ويعرف أيضا قول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ما خلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق وأجل مسمى ، والذين كفروا عما أنذروا معرضون . قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات إيتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾

صدق الله العظيم (الأحقاف : ١ـ ٦) .

وكان المشركون يعتقدون قديما أن ما يصيبهم من بلاء إنما يرجع إلى أوثانهم بل ما يصيب أنبيائهم إلى أن ذلك جزاء غضب الأوثان عليهم ، انظر القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ، وانظر لى قوم عاد يقولون إلى هود عليه السلام **﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون﴾** (هود : ٥٤) .

وهذا ما يحدث اليوم ، فكثير مما يعرفون العلم والفقه يخافون من طوطم طنطا ، خوفا شديدا ، راجع مقدمة مصرع التصوف للزميل الفاضل عبدالرحمن الوكيل .

وفى أيام حكم المماليك السلطان جقمق ، قيل لأحد العلماء أن يفتى بابطال مولد البدوى لما يحدث فيه من زنا وفسق ولواط وتجارة مخدرات ، وما يشيعه الصوفية من أن البدوى سيشفع لزوار مولده ، فأبى هذا العالم أن يفتى قائلا ما معناه أن البدوى ذو بطش شديد .

ولقد جعل الصوفية من أولياءهم آلهة كاملة الألوهية ولا سند لهم إلا الخرافة والكذب ، واختراع الكرامات ، و ينسبون ما يجرى فى الكون من أضرار من غضبتهم كذلك جميع الأمم وجميع الأديان .

ولقد أفتى عالم صوفى من مدة ما معناه ، لو أراد إبراهيم الدسوقى خروج الانجليز من مصر مابقى انجليزى واحد ، وقال بعضهم فى نكسة سنة ١٩٦٧ ما يدور حول هذه الفكرة .

لقد بين القرآن عقيدة الشرك ووضحها ، و لكن على المنابر يصف بعض وعاظنا المشركين ، ويكتبون أيضا أن المشركين هم الذين يعبدون اللات و العزى أو يتوسلون بها أو يوسطونهما ، ويتناسون أن مايحدث عند قبور مشايخ الصوفيه أشد ماكان يحدث عند الأمم السابقة ، ويقولون أن أمة محمد بخير فهل هذه الأفعال الشركية من المبادىء التى جاء بها محمد أيها القوم اقرءوا قوله تعالى : ﴿ **أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر** ﴾ (سورة القمر : ٤٣) .

إن الوثنية تضرب جذورها ، أصلها ثابت فى رءوس هؤلاء القوم ، وفروعها فى العالم كله ! . ولا يكفى الدفاع عن من قال لا إله إلا الله قالها بلسانه ولم يقلها بقلبه ، قال تعالى : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ (المنافقين : ١) .

وقوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم** ﴾ .....

إن ملايين البشر الذين يتداعون إلى موالد هؤلاء الطواطم ، إنهم يفضلون الطوطم عن الله سبحانه وتعالى بل يجعلون حينما يركعون ركعات في مساجد الضرار التى فيها الأضرحة ، يطلبون من الله سبحانه وتعالى أن يتوسط ليرضي عنهم صاحب الضريح بل كل الأشعار التي يمدحون بها هؤلاء الموتى سواء في موالدهم أو فى حضراتهم كلها تأليه لهم .

ولا ننسى قول شيخ المسجد فى حفل مولد البدوى ، أنه لا ينسى مريده إذا قصده في آخر الأرض ، قالها أمام جمع من علماء الأوقاف وغيرهم وهم سكوت كأن على رءوسهم الطير أو كأن أم كلثوم تغني « أمل حياتي ياحب غالي » .

فقد كان يسمع لها ملايين البشر بل ويعبدونها ويرجونها ، ولها يركعون إذا شاءت أو غنت تراهم سكارى ، وما هم بسكارى من خمر السوق إنما خمر الصوفية ، ورحم الله مجنون بني عامر إذ يقول :

تسليت عن ليلى بليلى من الهوى   كما يتسلى شارب الخمر بالخمر

الرسول عليه الصلاة والسلام ظل في مكة يدعو إلى التوحيد ، قام بهذه المسئولية العظمى الضخمة بمجهوده البشرى مع من اتبعه من المؤمنين ، وحين لا يوفقه اجتهاده كان القرآن ينزل ليريه ما اختلف في تقديره . ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ (الشورى : ٥٢) .

أما أتباع الآلهة الأرضية القبور والأضرحة فلأجل أن ينشروا العقيدة الوثنية القبورية (إن هؤلاء يتصرفون في الكون) ليس لهم أى سند ، إلا التزييف والتضليل ووضع

الأحاديث الكاذبة ، وتحريف الآيات الكريمة ، واللغة العربية عن مدلولها ، وما يدعيه الصوفية وأضرابهم كالشيعة للأولياء هو ما كان يهتف به العرب الجاهليون وماسبقهم من الأمم الوثنية قال تعالى : ﴿ **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياتا ولا نشورا** ﴾ (الفرقان : ٣)

وإن من إعجاز القرآن حقا أن يتحدث عن أضراب هؤلاء الصوفية ويحدث هذا في أول صوفي دعا إلى الإتحاد بالله وحوكم بتهمة الزندقة ، وأعدم .

ومن العجيب عندنا أن تؤلف رواية مسرحية في الأوبرا تبرىء هذا الصوفي الحلاج من هذه التهمة ، تدعي أن قتله كان بسبب سياسي .

وتوالت بعد ذلك الروايات السينمائية والمسرحية لتمجيد هذا النوع من الوثنيات الموضة كرواية شهيدة العشق الإلهي ، وكأن للصوفية وشيعتهم من الإباحيين (المسمون برجال الفن) الصوت العالي في رفع هذه الأصوات المنكرة في الإسلام .

وانظر إلى أصحاب البدوي الأموات والأحياء ، وفيهم عمائم أزهرية كثيرة ، أضفوا على سيرته أنه يحي ويميت ويخسف الأرض بمن يشاء ، وينزع الإيمان من الصدور .

ولما كان نشاطه أيام الحروب الصليبية ، ولم يكن له ولأصحابه من الصوفية الشاذلي وأبو العباس وأضرابهم أى نشاط يذكره التاريخ كنشاط تقي الدين ابن تيمية، فقد افترى أصحابه زورا وبهتانا أنه كان يمد يده من طنطا ويخطف الأسارى المسلمين من روما ولا زلنا نسمع الأغنية المشهورة : (الله الله يابدوى جاب اليسرى) .

الصوفية كالمشركين ، وأحبار النصارى ، وأتباع بوذا وكونفوشيوس ، يحيطون أنفسهم بهالة ضخمة تخيف الناس من التصريف فى الكون التحكم فى ملكوت الله. ومن طبع النفوس أن يمسها الرعب بالوهم .

الصوفية والحرب الماكرة على الإسلام :

منذ نشأت الصوفية وهى فى حرب ماكرة ضد الإسلام ، إنها قضت على صفاء العقيدة ، وراحت تنشر كتبها وأباطيلها ، وطرقها ورقصاتها المحمومة الهستيرية فى الموالد .

ولكن الله سبحانه وتعالى لا يترك أمر هذه الأمة بدون أن يوقظها إلى إيمانها بين حين واخر فى القرن الثانى عشر الميلادى سخر الله أئمة فضلاء على رأسهم تقى الدين ابن تيميةبصر الأمة الإسلامية بعوار هؤلاء المتصوفة ، ولم ينفع دفاع الصوفية عن أنفسهم، ومن دفاعهم عن كفرهم قولهم :

إن للصوفية أحوالا من السكر بالجمال الإلهى ،و لهم أنشودة كنت أقرأها وأنا صغير منها « رفع التكليف فى حال سكرنا عنا » والرد على ذلك أيجوز لنا فى حياتنا أن نجعل قوما يسكرون فيكفرون قدوتنا ؟ أم أن السكر والكفر وقف عليهم وحدهم وهل كان من كفر وسكر نترك التقرير له وحده إذا ادعى أنه صوفى يحب الله ؟ وهل الذين أحبوا الله من أصفيائه من الملائكة و المرسلين سبوه تعالى شأنه أن إبليس كان فى غاية الأدب وهو مخالف للأمر الألهى بالسجود لآدم قوله: ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاعبادك منهم المخلصين** ﴾ .

بعض الصوفية الذين يزعمون إنهم يحبون الله فى مثل هذا ؟ وكيف تصفونهم بالسكر وهم يمسكون المحابر والأقلام و الأوراق ويكتبون هذه الصفحات الشركية

ويقولون أنهم يقولون أنها قد دس عليها الكثير من الباطل كما دس على النبى صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث ؟ ونقول اذكروا لنا ما المدسوس وما غير المدسوس ، لقد وفق الله رجال هذه الأمة إلى تنقية الطيب من الخبيث ، فى كل مايتعلق بالشريعة ، ولكن أنتم أيها الصوفية لازلتم تمجدون الكبريت الأحمر ابن عربى وشيوخه الشيخ الأكبر مؤلف الكفريات الفاضحة الفتوحات المكية وفصوص الحكم ، وعنقاء مغرب ، وذخائر الأعلاق ، وكل مؤلفات ابن الفارض ، والجيلى، وهياكل النور ، وفلسفة الإشراق للسهروردى ، هل هذه كتب مدسوسة ؟! هل مجموعة الأوراد التى تنتشر فى المساجد ، والتى تطبع منها آلاف النسخ ، وتوزع على المساجد ، هل هى مدسوسة على الصوفية ؟! .

وفيها تقرأ للدردير ، وهو من شيوخ الأزهر القدامى (وانشلنى من أوحال التوحيد وزجنى فى بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع إلا بك ؟! ما هذه الأوحال التى فى التوحيد أيها المجوسيون ؟ أهذه ولاية !أم شيطنة !! .

يقول ابن عربى فى فلسفة الوحدة مع الله :

الرب حق والعبد حق ياليت شعرى من المكلف

إن قلت عبد فذاك نقى أو قلت : رب أنى يكلف

هذا الشعر الوثنى !! ما حجة الصوفية إن قالوا إنه لا يقصد الوثنية ؟! إذن ماذا يقصد ؟ أفتونا أعماكم الله وأخزاكم قديما وحديثا .

ماهذا الإلة الذى له صفتان تتعارضان ، خالق ومخلوق فى آن واحد ، ماأظن هذا الهراء إلا من قول فلاسفة الوثنيين الذين جعلوا الله أبا وابنا فى آن واحد ؟!

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، إنه إله الصوفية كما وضح ابن عربى فى قوله :

ومالكلب والخنزير إلا إلهنا   وماالله إلا في صورة إنسان

إنه الناسوت ، واللاّهوت التي نادى بهما بعض أئمة الصوفية ، وأظنه الحلاج إذ قال :

سبحان من أظهر ناسوته   سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا بسين خلقه   في صورة الآكل الشارب

أي أن إله الصوفية هو في الخلق يأكل ويشرب ....

الصوفية يعيدون تحذير الناس من غضب طواغيتهم كما كان الكفار يفعلون :

كتب الصوفية مملوءة بهذه التحذيرات ، يحذرون من يعترض عليهم بالويل والثبور وخراب البلاء واليتم والفقر والأمراض ، يقولون من اعترض فقد انطرد .

وقد صاغوا هذه الأفكار المخيفة ، في صورة حكايات مرعبة ، حول رجال لهم سمعتهم العلمية ، ومكانتهم الفقهية اعترضوا على الصوفية ، فأذاقهم طواغيتهم من العذاب الأليم ألوانا .

والشعراني له الباع الطويل في نسج هذه الأقاصيص ، ولو كان في زماننا لكان مؤلفا سينمائيا بارعا ، يقول الشعراني : أخبرني شيخي الشيخ محمد الشناوي أن شخصا أنكر حضور مولده ، أي مولد البدوي فسلب الإيمان من قلبه ، فلم تكن فيه شعرة تحن إلى الإسلام ، فاستغاث بسيدي أحمد البدوي . فقال بشرط ألا تعود، فقال : نعم ، فرد عليه ثوب إيمانه ، ومثل هذه الاسطورة ، أضرابها كثير في طبقات الشعراني الكبرى ١ / ١٦٢ .

واستغلوا ضعف الناس فى حفظ المتون ، فهددوا العلماء بأن من يعترض على البدوى سينسى ما حفظه من متون العلم ، ولما كان النسيان طبيعة بشرية ، فإذا نسى أحد ، سأل نفسه هل اعترضت على الأولياء الذين يسلبون الإيمان ، والعلم أيضا؟

يقول الشعرانى الأفاك العظيم : وقع ابن اللبان فى حق سيدياًحمد البدوى فسلب القرآن والعلم فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدروا أن يدخلوا فى أمره فدلوه على سيدى ياقوت العرش فمضى إلى سيدى أحمد وكلمه فى القبر فأجابه ماذا يريد ؟ فقال : رد على هذا المسكين رسماله ، أنت أبو الفتيان ، فقال بشرط التوبة . فتاب فرد عليه رسماله .

وابن اللبان هذا لم يكن من المعترضين على الصوفية ، وكان صوفيا بارزا يقول فيه المقريزى « نسب إليه القول بأن السجود للصنم غير محرم وإنه كان يفضل شيخه ياقوت العرش على بعض الصحابة .

ويذكر عبدالصمد فى الجواهر ، أن الرسول صلوات الله عليه كان يستشفع لدى البدوى للناس الذين يغضب عليهم البدوى ، منها هذه الحكاية التى رواها الشعرانى قال: أن سيدى أبا الغيث أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحدالصالحين بها ، كان بمصر فذهب إلى بولاق ، فوجد الناس فى هرج ومرج ، ألوف منهم فى النزول إلى المراكب للذهاب إلى طنطا للاحتفال بالمولد ، فقال فى نفسه منكرا هيهات أن يكون احتفال هؤلاء بمولد النبى كاحتفالهم بمولد البدوى فقال له أحد الأشخاص : إن البدوى ولى عظيم ، فقال : هناك من هو أعظم منه ، فعزم عليه شخص فأطعمه سمكا فدخلت شوكة واستقرت فى حنكه وتصلبت ، ولم يقدر على انزالها بحيلة من الحيل أو العطاس ، وورمت رقبته حتى صارت كخلية النحل

تسعة شهور وهو لا يلتذ بطعام أو منام وتحير ثم قال : احملونى إلى سيدى أحمد البدوى فقد اعترضت على مولده .

فأدخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة بالدم فقال تبت إلى الله ، ولن أعود إلى الإعتراض على مولد سيدى أحمد البدوى.

ومع أن الحكام من المماليك كانوا يسيرون فى ترهات أباطيل الصوفية ويقيمون لهم الخوانق والرباطات والزوايا فلم تخل قصص التخويف من تخويفهم .

وأطلقوا على البدوى لقب العطاب ويقول فيه الحلبى ولا مانع أن يكون عطابا فى الحرب والنزال ثم صار عطابا يسلب الأحوال ، وإيقاع السوء لمن يؤذيه . وكل الصوفية مشهورون بهذا اللقب يخيفون به كل من اعتدى على وثنياتهم إلى الأبد ، أى أن العطب كرامة من كرامات هؤلاء الأولياء . أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن .

ومن الموصوفين بكثرة العطب عند الصوفية طوطم يسمونه أبو طرطور . وأشاعوا أن تابوت البدوى يقرقع إذا حاول أحد من الحكام يؤذى مستجيرا به .

وقد حدث أن السلطان جقمق أبطل مولد البدوى لما فيه من الوثنيات الموبقات والفواحش بين الرجال والنساء ، وحدث لبعض المقيمين بابطال هذا المولد ابتلاء لهم من الله كالعادة ، فالله يبتلى عبده بمشيئته فمنهم من عزل من منصبه ، ومنهم من أمر السلطان بنفيه ، ومنهم من وضع فى السجن ، فأشاع الصوفية إن كل ذلك من عمل البدوى لأنه غضبان عليهم[1] .

---

(١) كان المغفور له الشيخ عبدالرحمن الوكيل فارسا عظيما فى الفتك بالصوفية فى مؤلفاته ، فأصيب رضوان الله عليه ببعض المحن وهو مدرس بوزارة التربية فنسب الصوفية ذلك من اعتراضه عليهم .

وقد أقام الأحمدية حجرا أسودا فى مقام البدوى ودعوا الناس لتقديسه والحج إليه، وينسب إلى البدوى هذا الشعر أو إلى الشيعة من الصوفية قصيدة أذكر منها :

ألا أيها الزوار حجوا بيتنا وطوفوا بأركان له تبلغوا المنى

وكثير من فساق العلم كانوا يفتون لنا ونحن فى الكتاتيب إن الحج (لطنطا) مقبول ويغنى عن الحج لبيت الله الحرام ، وأذكر فى الثلاثينات كان موجودا أحد الممثلين كثير الشبه بنجيب الريحانى ورأيته فى أحد أفراح القرية عندنا سنة ١٩٢٣ وكان اسمه سيد قشطة وقد أطلق اسمه على الحيوان المائى المعروف بحديقة الحيوان بالجيزة ، لأنه رحمة الله عليه كان ضخم الجثة مع خفة دم ،وسرعة نكتة ، ووجه صبوح ضحوك ، وقام بعمل تمثيلية سجلت على اسطوانة لتذاع فى الأفراح بواسطة الفونوجراف القديم ، الذى كان اسمه باللغة العربية الحاكى، كان فى هذه الاسطوانة حوار بين أحد السودانيين والحاج سيد قشطة ، لقد أقنع السودانى الحاج سيد قشطة بأنه لم يحج ، ولكن السودانى أصر على ذلك لأنه حج إلى طنطا عند البدوى .

وفى قريتنا فى الريف ، وفيها أكثر من ثلاثين (طوطم) تقام لهم موالد ونذور ونسك ، فقد أفتى بعض الفسقة بأن الحج ينفع إليهم هذه أيام قديمة ... ولها عندى ذكريات أذكرها وأنا صغير .

وكان يروج هذه الخزعبلات أرباب الطرق فى القرية فهذه فرصتهم ليطبلوا ويرقصوا ويشخروا وينخروا ويشهقوا فى صلواتهم الإبليسية .

يقول عبدالصمد أحد مشايخ الأحمدية (كل من زار الأستاذ يقصد البدوى يتبرك بالحجر ، ويدعى أن بعض السلاطين حاول قلعه ونزعه فلم يقدر هو ولا

جنوده[1] !!

والبدوى عند أتباعه يمد العالمين بالمدد حتى أن الأولياء يمدهم بمدده فيقول شعراؤهم أو مادحوهم فى المحايا والحضرات ، والموالد على الربابة أو على الدفوف :

هو الوابل الهطـال عـم نـفـعـه   على الكون أحيا كل أرض جدبة

له ينصب الكرسى فى شاهق العلا   ويقضى بأمر الله بين الخـليـقـة

انظر مايقولون إن البدوى يتحكم فى الكون بأسره فيعطى الشقاء لمن يريد ، ويعطى السعادة لمن يريد ، وهو الذى ينزل الغيث فيحى كل أرض جدباء ، وهو الذى ينصب له الكرسى ليقضى بين الخلق حيا ، وميتا .

يقولون :

أنت الذى عمت الدنيا مآثره   أنت المجيب لمن فى الكون دعاك

إنهم يريدون فى قرآنهم أن يقولوا ، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ؟! إنه البدوى !!!

وقد حدثت بين أتباع البدوى والدسوقى خصومة فى حكم الكون ، فإن إلهين اثنين لن يتفقا ، فلذلك يقول الحلبى حد الصوفية القدامى سئل الدسوقى عن البدوى فقال : الدنيا مقسومة بيننا أربعة أقسام ، ربع لى وربع لأخى أحمد الرفاعى ، وربع لسيدى عبدالقادر الجيلانى ، وهو شيخ أبى مدين زعيم الدعوة فى المغرب العربى ، وربع لحضرة الأستاذ سيدى أحمد البدوى . وكل منا يتصرف فى الربع الموكل إليه ما عدا البدوى فإنه يتصرف فى الجميع وقد خصه الله بخصيصة لم

---

(١) انظر إلى مكر الصوفية ، فقد انتزع القرامطة الحجر الأسود ولم تنزل عليهم من السماء صاعقة !! . ولكن حجر البدوى أشد بأسا وأشد تنكيلا .

يختص بها أحد لا قبله ولا بعده ، جعل له كرسيا بين السماء والأرض يتصرف فى أمور العالم العلوى والعالم السفلى (راجع النصيحة العلوية مخطوطة بمكتبة الأزهر، وراجع مصادر التاريخ الدينى للدكتور أحمد صبحى وراجع البدوى للدكتور سعيد عاشور) .

ولو جئنا بآلاف الآيات لهؤلاء الصوفية على أن الكون لا يتصرف فيه أحد إلا الله لقالوا نعم ولكنه تعالى فى رأيهم يستأذنهم ويستشيرهم ، ولو ذهبت تجادل صوفيا أتيت له بحجة إبراهيم عليه السلام التى انتصر بها على النمروذ **﴿إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾** فبهت النمروذ ، ولكن الصوفى لن يبهت فإنه يرد بأن الله استأذن منهم قبل أن يطلعها من المشرق ، تلك فلسفة وحدة الوجود الخالق والخلق واحد ، والرب والمربوب واحد ، وألوهية الكلب والخنزير واحد ... الخ .

وقاك الله أيها القارىء العزيز من الدرك الأسفل من النار مسكن هؤلاء الذين ظهروا للمسلمين بصورة العلماء ثم بطنوا عقائد المجوس واليهود والنصارى ؟!!.

كفار قريش كانوا أقل كفرا من هؤلاء :

كانوا يعبدون الأصنام رمز أولياؤهم الموتى ، ويقولون مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فرد عليهم القرآن الكريم ناقضا الوسيلة من جذورها قال تعالى : **﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ، قل لله الشفاعة جميعا ﴾** (الزمر : ٤٣ـ ٤٤) .

البدوى مادام قد اتخذ كرسيا بين السماء والأرض فسلطانه في الدنيا والآخرة وفي البرزخ (القبر أيضا) انظر ماجاء فى كتاب الجواهر .

ويروى خليفته عبدالعال قال : إن سيدى أحمد البدوى رأى قبل وفاته بثلاثة أيام كأن القيامة قامت وأنا واقف فى المحشر فألهمنى الله هذا الدعاء فرفعت رأسى إلى السماء وقلت : اللهم يارب كل شىء اغفر لى كل شىء قال وإذا النداء من العلا : يافتى نحن ماسألناك عن شىء اذهب ياأحمد أنت ومن معك وادخل الجنة ، قال (الراوى) فرفعت رأسى ونظرت فإذا بعلم كبير على رأسى وتحته خلق كثير منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه ومكتوب عليه النور (نصر من الله وفتح قريب لأحمد البدوى ومن معه من المريدين والفقراء الصادقين) فلما انتشر العلم فوق رأسى رأيت خلقا كثيرين يمشون خلفى حتى دخلت الجنة .

كل القصائد المداحة تسمعها فى مولده حتى بين الراقصات الفاسقات كما تسمعها فى مجالس الرقص الذى يسمونه الذكر فينخرون ويشهقون ، صدق الله تعالى إذ يقول :**﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾**(الأنفال : ٣٥) ، عن المشركين ، فقال لهم الله تعالى : **﴿ فذوقوا العذاب ﴾** أما المتصوفة فلهم الدرك الأسفل من النار كظهورهم بمظهر المسلمين ، ومحاربتهم من الداخل بعقائد المجوس والنصارى ، الإتحاد ، جمع الجمع ، الظاهر والباطن ، وحدة الوجود، الكشف ، الشريعة ، الحقيقة .....الخ .

وبعد أيها القوم **﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾**(الأحقاف : ٥ - ٦) .

وأولياء الصوفية مشهورون بالكشف ، ومعناه كشف المستور ، أو المكتوب فى اللوح المحفوظ .

قابلت أحد الناس من قريتى بالدقهلية تخرج فى كلية اللغة العربية وتمشيخ فى الطرق الصوفية ، يعمل مدرسا قال لى : لقد تزوجت ، والذى زوجنى شيخى فقد حضر عقد قرانى تحت العرش فتزوجتها ولم أرها إلا فى حجرة نومى !! .

ومن الخطأ الشائع ، وترفع أعلام هذا الخطأ الصوفية أن الموتى أحياء فى قبورهم ، ولو صح هذا الادعاء فإن تحت كل قدم موتى لا حصر لهم فالأرض من لدن آدم إلى الآن وهى تغص بالأموات ، حتى يقول أبو العلاء المعرى :

خفف الوطء ماأظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدم العهد هوان الآباء والأجداد

الله يوضح فى كثير من الايات ، أن الموتى لا يشعرون بشىء فأرواحهم غادرت أجسادهم ، فتحللت أجسادهم إلى التراب الذى منه خلقنا فى الأزل القديم **﴿أموات غير أحياء ومايشعرون أيان يبعثون﴾** وقوله تعالى : **﴿ أفأنت تسمع من فى القبور ﴾** ، وقوله تعالى : **﴿ هل يستوى الأحياء والأموات ﴾** .

ويقال عن الصوفى أنه مكشوف عنه الحجاب ، والكشف هو علم الغيب الذى اختص الله به

ولم يدع الصوفية أن البدوى وحده كان عنده كشف ، بل إن بهائمه كان عندها كشف أيضا ، وفى ذلك يقول مؤلف الجواهر ص١٤ ، ١٥ : وكان كثيرا مايرسل البهائم والغنم إلى البرسيم من غير راع فتأكل من مارس سيدى أحمد البدوى ، ولا تعتدى على الجار وكانت تعرف مارس سيدى أحمد البدوى بالإلهام.

وفى القرن العاشر أبى الشعرانى إلا أن يشارك ويطبل لهذه الخرافات الناشزة فقال ماسمعنا تابوته يقرقع إلا ويحدث فى المملكة أمر عظيم ، وما رأينا هلاله يدور إلا

حدث شيء خطير .

وللمداحين في مولده أشعار بالربابة ، يقولون منها (ياأبو فراج هلالك دار يمين) .

بعض شعائر الصوفية التي يدعون

أنهم يتقربون بها إلي الله :

من ذلك ضرب الطبل والدفوف ، عند الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، وعندما يهتزون لذكر الله مع التغنى والتمايل والتواجد والرقص ، ويزعمون أن ذلك قربة إلى الله وإذا مسهم الشيطان بطائف من الخبل ، وغابوا عن الوجود ، قالوا هذا جذب إلى الله ، وقد قرأت منذ سنوات في مجلة الجديد (وكانت تصدر قبل الثمانينات) فتوى لصوفي كبير كان على قمة في منصبه ، يفتي ويستند إلى حديث نبوى شريف اخترعه من افتراءاته ، وللصوفية قديما وحديثا براعة يحمدون عليها في الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يسندون الحديث إلى كتاب يحترمه الناس كالبخارى ومسلم أو أبى داود ، وإن لم يخترعوا الحديث ينسبونه إلى رؤيا منامية وتلك ميدان واسع للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكل صاحب بدعة ادعى هذه الدعوى !!، وقد يغالي أحدهم ، ويقول أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا جهارا عيانا ، وأخذ منه الحديث .

وهذه الروايات نضعها نحن علماء النفس في باب الهلوسات السمعية والبصرية فالأديان الباطلة وضعها أصحابها بعد أن ادعوا أنهم رأوا رسلهم عيانا بيانا وأخذوا منهم هذه الأباطيل البعيدة جدا عن دعوة النبى أى نبى بعد المشرق عن المغرب .

فهذا بولس وكان عدوا للمسيح طول حياته فلما رفع المسيح من صلبه إلى العلا أو كما يدعون صلب ناسوته وبقى لاهوته ادعى بولس أنه قابل المسيح وسمع

صوته، وقام بالتبشير بدين التثليث ، وما كان عيسى يدعو إليه ، وأخذ تثليثه من ديانة فلاسفة الرومان وهم أخذوها من فلاسفة قدماء المصريين ، ولا زالت هذه الأحلام تراود أربابها فيصنعون للناس أديانا جديدة .

وللرؤيا والأحلام عالم كبير تشترك فيه الأعصاب والمخ والرغبات الدفينة فى النفس ، عالم ميتافيزيقى شرح بعض الباحثين بعضا منه ، ولا يزال هذا العالم الميتافيزيقى موضوع نقاش وفكر .

فلو أحلنا جميع التشريعات إلى عالم الرؤيا ، فإن الرؤيا عند كل الطوائف المختلفة من مسلمين ويهود ونصارى ، بل والوثنيين كلها واحدة فإنهم يرون أحبارهم ورسلهم يعلمونهم ، كما يقولون ويدعون علما آخر غير الموجود فى رسالة رسلهم التى بلغوها وهم أحياء .

انظر إلى كتاب احياء العلوم للغزالى وهو يقص قصة غريبة عن أحمد بن حنبل، إنه رأى الله سبحانه وتعالى مائة مرة مناما ، وقبل الرؤية المائة قال (أحمد بن حنبل) لو رأيت الله لسألته بم يتقرب إليك المتقربون يارب ، وزعم مفترى هذه الرؤية أن الله قال له ، بقراءة القرآن ياأحمد ، قال بوضوء أو غير وضوء يارب ؟ قال بوضوء أو غير وضوء ياأحمد .

ورابعة العدوية التى يسمونها شهيدة العشق الإلهى تدعى رؤية الله جهارا عيانا بيانا التى حرم منها موسى ، وقال بعد إفاقته :**﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾** (الأعراف) ، وبعضهم عندما تقوم عليه الحجة يقول : إنها رؤيا بصيرية ، وكل العالم أجمع يرى ربه رؤيا بصيرية ، تلك الرؤيا الفطرية التى استقرت داخل النفس من قوله تعالى : **﴿ ألست بربكم ، قالوا بلى ﴾** فأخذ هذا الميثاق هو الفطرة التى

تركزت اللاشعور .

أما الصوفية فلهم رأى آخر ، هذه رابعة العدوية تقول لله :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك

أما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراك

وفى كتبهم مفتريات تمتلىء بها أبحاثهم إنهم يرون الله جهارا من ذلك قول أحدهم سألت ميمونة (متصوفة) أترين الله ؟ قالت لوتحجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين .

ولو ادعى شخص بأنه يرى الله فالأولى أن يعرض نفسه على طبيب أعصاب فكثير من نزلاء المصحات العقلية يصور لهم شعورهم الداخلى بصور يدعون أنها الله يتجلى لهم ، فالله سبحانه وتعالى لن يتجلى لعباده فى الدنيا ليروه ، إن ذلك فضل سيؤتيه لنا فى دار صدق ، دار الجنة ، ولا نعرف كيف يكون ذلك ، فللآخرة أحكام لا يمكن أن نعرفها فى الدنيا .

وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، فليست الجنة دار أكل وقصد فحسب بل فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فموجدها الله رب العالمين فهى دار ضيافة الله لعباده المؤمنين .

وقصة الجذب الصوفى : إنه جذب هستيرى ! ، وماانجذب خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، ولا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهما أشد الناس حبا لله.

وقد قرأت فى كتب إسرائيلية قصة هذا الجذب كما رواه أحبار اليهود ، من أن موسى عليه السلام رقص عندما أنزل الله عليه التوراة ، وهى ضلالة يهودية ، ونحن

المسلمين لا نسير وراء الضلالات الكفرية . وما يحدث في الحضرات الصوفية ماهو إلا منكر وجهالة وهستيريا شيطانية كثيرا مايقوم الصوفية أنفسهم بعلاجها عندما تضر صاحبها بما يسمى بالزار ، زاعمين أن بعض الجن تركب بعض الأجسام الآدمية فالجسم الآدمي أصبح حمارا لعفريت من الجن يركبه ، وهذا رأى آخر فى الجذب فهو مجذوب للشيطان . أما جذب الصوفية ، فهو نوع من هذا الجذب إنما يؤولونه بأنه جذب إلهى لا شيطانيّ أو أنه باب الولاية ، ولها أبواب سبعة عندهم .

تلك مفتريات يفتريها بعض أشياخهم من الذين نظن أنهم معتدلون فى تصوفهم[1] ، وليست هذه الألاعيب الشيطانية الهستيرية طريقة الأولياء ، الذين هم حزب الله ، فلم يؤثر عن الصحابة والتابعين قصة هذا الجذب وهم الذين قال الله تعالى عنهم : **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾** (الفتح :٢٩) .

لقد سمعت محاضرة من بعضهم «صوفى طبعا» يصف الصحابة بأنهم كانوا دراويش ، فهل كانوا دراويش حقيقة !! لو كانوا كذلك ماقام الإسلام بعزته وغزا الأرض ، وأصبح الفكر الإسلامى وعقيدة التوحيد يؤذن لها فى مشارق الأرض ومغاربها ، لو كان الإسلام يدعو إلى الدروشة لكان كل المسلمين يهمهمون ويدمدمون ويتشدقون بألفاظ لا معنى لها ، وتسيل أفواههم من اللعاب ، ومناخيرهم

(١) مامعنى صوفى معتدل ؟! إنه لا يوجد صوفى إلا ويعتكف حول قبر شيخه ، ويقيم مولدا له ويطلب منه المدد ، أين الإعتدال هنا ؟! (المؤلف) .

من المخاط ، وقذارة أجسامهم ، حتى يستعملوا المهراس يهرشون به أجسادهم كما كان يفعل أبو فراج البدوى انظر إلى تمثيلية الخليفة فى زفة البدوى فى أخر أيام المولد من كل عام مدد يأبو فراج مدد ، هل هلالك ، دار يمين ...!!

يجب الإنكار على هذه الطرق التى يظن بعض ذوى الأديان الأخرى أنها قمة الإسلام ؟! فإذا لم يدخلوا فى دين التوحيد بعد أن يروا هذه الخزعبلات كان عذرهم عند الله مقبولا .

ينبغى للمسلم أن يتدبر جيدا آيات التوحيد القرآنية ليصحح عقيدته ليعلم أن هذه الفرق ابتدعها الشيطان ، القائل : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ .

قل تعالى : ﴿ **ياأيها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾والمنافقون الذين ادعوا الولاية والقرب والجذب أشد كفرا ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، إذ وصفوا أنفسهم بأنهم رجال الله ، وعذابهم مضاعف .

فلن يهتدى من يريد الهداية إلا بأن يسير على نهج السلف الصالح المبشر بالجنة ، وهو المقصود بقول الله تعالى : ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا كبيرا** ﴾(النساء :١١٥ ومابعدها) .

والآية الكريمة : ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع**

القوم الظالمين ﴾ (الأنعام : ٧٨) .

وقوله تعالى : ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله مالا تعلمون . قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون ، فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ (الأعراف :٢٨_ ٣٠).

وقوله تعالى : ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ، ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (الأعراف : ٥١_٥٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾ (الكهف : ١٠٣_ ١٠٥) .

فالرقص والتواجد ، أول من أحدثه السامرى وأصحابه عندما اتخذ لهم عجلا له خوار ، ففرحوا به ، فقاموا يرقصون حوله ، ويتواجدون وينعقون ، وينهقون كنهيق الحمير ، ويضربون الدفوف السلاميات وما إليها .

وقد أفتى أئمة الإسلام ، منهم الإمام الطرطوسى ، أنه سئل عن قوم يجلسون فى

مكان يقرءون القرآن أولا ثم ينشدون بعض الأشعار مدائح ثانيا ، ثم يقومون يرقصون ويطربون ويضربون بالدفوف هل الجلوس معهم حلال ؟!

فأجاب : إن هذه بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ،وما الرقص والتواجد إلا ما أحدثه السامرى وأصحابه حين اتخذ لهم عجلا له خوار فقاموا يرقصون حوله ، والرقص دين الكفر ، وعباد العجل ، وإنما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور إلى المساجد ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولا أن يعينهم على باطلهم .

هل يسمع ذلك اخواننا العلماء الذين يحضرون الموالد وهل ينتهى هؤلاء الراقصون أمام أضرحة الحسين والسيدة زينب ، وفى المساجد بالذات .

صدق الشعر القائل :

لقد أسمعت إذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

إن الصوفية جمعاء مؤمنون بالرقص الصوفى إيمانهم بأن البدوى والدسوقى وغيرهما يقول كل منهم للشىء كن فيكون .

ذلك كله باطل عند جميع الأئمة المسلمين كمالك وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل ، رضى الله عنهم أجمعين ، والسكوت عليه تبرير له .

وفى فتوى الإمام الكبير ابن قدامة قال : أنه فاعل هذا مخطىء وساقط المروءة والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة فى الشرع غير مقبول القول ، وإن هذا لعب ومعصية ! ومن طلب الوصول الى الله تعالى من غير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشقه فهو يبعد عن الوصول الى المراد .

وقد ألف ابن حجر كتابا سماه : (كف الرعاع عن حرمات اللهو والسماع) قصد به الرد على هؤلاء الجهلة .

قال تعالى ﴿ **مالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا** ﴾ (النجم : ٢٧)

وقوله: ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** ﴾ (الجاثية : ٢٣) .

وقال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين ، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم** ﴾(لقمان :٧) ، وأما التصفيق ففيه ثلاثة محرم مطلقا ، مكروه مطلقا ، ومحرم عند قصد اللعب مكروه عند غيره .

والتصفيق من دأب ذوى الرعونة والطيش ، واستعماله عند العبادة والذكر ضلالا وخسرانا مبينا ، قال تعالى : ﴿ **وماكان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾(الأنفال : ٣٥) .

وما يفعله الصوفية وغيرهم من شرب الجوزة أو الدخان فى موالد طواطمهم ، وبعضهم يفعلونه عند سماع قارئ القرآن فى الموالد والمآتم ، مما يشعر بالإهانة والاستخفاف ، وعدم الاحترام لكتاب الله ، وإن لم يقصد الفاعل ذلك .

وذلك ضد ماوصف الله عباده المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **وإذا سمعوا ماأنزل إلى**

الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾(المائدة : ٧٣) .

وإن كانت الآية نزلت في نصارى نجران الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام، وحكمها عام .

وقراء الموالد فهي من الأعمال التي لم يكن عليها الرسول ، ولا أمر بها ولا خلفاؤه الراشدين ، ولا التابعون بإحسان من أئمة الهدى في القرون الثلاثة الأولى لا الخمسة ، ولو كان ذلك خيرا لسبقونا إليه ، فعمل ذلك إحداث أمر في الدين لم يكن عليه سالف المؤمنين .

وفي الحديث الشريف : «**من أحدث في أمرنا هذا ماليس فيه فهو رد** »(رواه الشيخان) .

وعلى ذلك فكل عبادة لم يتعبد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن عليه جلة الصحابة فهي زيادة على المشروع عمل غير مقبول مردود على فاعله .

ولا أدرى لماذا يخترع بعض الضلال عبادات ؟! وقد بينت السنة النبوية كل ما يشبع النفوس الجائعة إلى فهم السنة . لماذا إذن نخترع أشياء من عندنا ؟ وقد كفانا القرآن والسنة النبوية .

والبدعة كل عمل حدث في الدين ليس له أصلا فيه أو وصفا من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد به فاعله التقرب إلى الله .

رحم الله الإمام مالك إذ يقول مشيرا إلى عصر النبي وصحابته (مالم يكن اليوم دينا فلا يكون دينا) .

الإمام الشافعي يقول : من حسن بدعة فقد استدرك على النبي صلى الله عليه وسلم .

ذلك في أمور العبادة .

أما أمور الدنيا فإنها مباحة ، فدنيانا اليوم غير دنيا الأقدمين ، فالدنيا من طبيعتها التطور تلك سنة الإستخلاف فيها وتعميرها وتسخير منافعها .....

إن دولا إسلامية أغلبها في أفريقية لا تعرف التوحيد إلا من كتب هؤلاء المشركين .

فالعناكب الفاسدة من شتى الطرق الصوفية تجد أرضا طيبة لحبائلها حيث ينتشر الجهل والخرافة ، وهما سلاحان من أسلحة الصوفية إذ أنهم يزعمون لأبنائهم أن لديهم علما لدنيًا ، فهم يعبدون الموتى ويظنون أن الموتى تخرج من قبورهم ليغيثوا المستغيثين بهم ، كما شرح ذلك الشعراني وأضرابه في كتبهم المنتشرة .

ومن قول أحد مشايخهم يزكي نفسه :

ومريدى إذا دعاني بشرق   أو بغرب أو نازل بحر طامى

فأغيثه لو كان فوق هواء   أو سيف القضا لكل خصامى

كل من قاوم هذه الشركيات اضطهدوه ، وضربوه وربما قتلوه ، وهكذا تطل هذه الحية الرقطاء تنفث سمومها وهي تختفي تحت لباسها الناعم .

وبعض الدول الأفريقية تعتمد على كتاب يسمى الفيوضات الربانية ـالصومال ـ وهو كثير الشبه بكتاب البرهامي السوداني المسمى « نصح الأمة » الذى انتشر في مصر وأفتى إخواننا بالأزهر الشريف بكفر مؤلف هذا الكتاب ، وكان الأخ الفاضل

محمد عبدالله السمان له القدح المعلى فى مهاجمة هذا الكتاب وصاحبه ،وانتهى الجدل حوله ولا زالت هذه الطريقة تواصل نشاطها الإجرامى بجانب الحسين هى وغيرها .. وغيرها .

وفى هذا الكتاب يقول الجيلانى عن نفسه : إن الله خاطبه ويذكر أن الله قال لى (ياغوث ياأعظم) الإتحاد حال حال لا تأتى بلسان المقال ، فمن آمن بالحال قبل وجود الحال فقد كفر بالله ... والإتحاد عند الصوفية درجة من درجات الولاية إذا عثر عليها الولى صار طلق العنان .

وفى هذا الكتاب يدعى صاحبه أنه يرى الله ، وأنه يخاطبه بقوله ياغوث ياأعظم .

ويذكر حديثا بينه وبين الله سبحانه وتعالى أنه ناجاه وقال ياغوث ياأعظم من سأل رؤيتى بعد العلم فهو محجوب بعلم الرؤية ، ومن ظن أن الرؤية غير العلم فهو مغرور برؤية الله تعالى ، وفى الكتاب يقول عبدالقادر الجيلانى ، ليس الفقير عندى من ليس له شىء ، بل الفقير الذى له أمر فى كل شىء إذا قال للشىء كن فيكون .

وفى هذا الكتاب أبيات شعرية على لسان الجيلانى منها :

ضريحى بيت الله من جاء زاره	يهرول له يحظى بعز ورفعة
وسرى سر الله سار بخلقه	فلذ بجنابى إن أردت مودتى
وأمرى أمرالله إن قلت كن يكن	وكل بأمرالله فلحكم بقدرتى
فلا علم إلا فى بحار وردتها	لا تقل إلا من صحيح روايتى
على الدرة البيضاء كان اجتماعنا	وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة
وشاهدت مافوق السماوات كلها	كذا العرش والكرسى فى طى قبضتى

هكذا التصوف ملة واحدة فى الأقطار التى من عليها بالإسلام فهو شريعة إبليس يوهن الحق بالباطل ، ويدفع النور بالظلمة وويل ثم ويل لمن حقت عليه كلمة الشيطان ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** ﴾ لا أدرى لقد قامت الأدلة على خطر هذه النحلة ، وما بينها وبين الإسلام من تنافر وتضاد .

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعين المخلصين من عباده على دحر هذه الأباطيل ، وعلى تنكيس راياتها المريبة ، وأن يجعلنا من أحبابه وخاصة أوليائه ، وأن ينشرنا يوم الدين مع الذين أنعم عليهم من النبيين المرسلين ... إنه سميع مجيب .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

وأخيرا أختم هذا البحث المتواضع بقذائف من النور على باطل عبادة القبور للأخ الفاضل دكتور / مصطفى درويش .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قذائف النور على باطل عبادة القبور)

قال تعالى ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ (الجن : ١٨)

﴿ **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين** ﴾(الأعراف : ٩٤)

﴿**والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾(النحل : ٢٠٢١)

﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة**

يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ (فاطر: ١٤) .

﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ (الأحقاف : ٦٥) .

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، لوكانوا يعلمون ﴾(العنكبوت : ٤١) .

﴿ قل من رب السموات والأرض ؟ قل : الله . قل: أفاتخذتم من دون الله أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ ﴾(الرعد : ١٦) .

﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه ألياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾(الزمر : ٣٠) .

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ﴾ (الكهف : ١٠٢) .

﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب.﴾(الحج :٢٢) .

﴿ قل إنما أدعو ربى ولا أشرك بربى أحدا . قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾(الجن : ٢٠ـ ٢١) .

﴿ قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ (الأعراف: ١٨٨) .

﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (يونس : ١٨) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله** » (رواه الطبراني) .

«**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله** »(رواه االترمذى) .

« **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك** » (رواه مسلم) .

« **أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله** »(رواه البخارى ومسلم) .

«**إن الله تعالى لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين** » (رواه البخارى ومسلم وروى البخارى أن ابن عمر رأى فسطاطا «كسوة» على قبر عبدالرحمن فقال : انزعه ياغلام فإنما يظله عمله) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد** » رواه مالك وقال صلى الله عليه وسلم «**لا تتخذوا قبرى عيدا**» رواه أبو داود وقال ابن عباس فى وثن الجاهلية اللات «كان اللات رجلا صالحا يلت للحجيج السويق فى الجاهلية فلما مات عكفوا على قبره عبدوه » .

وروى البخارى عن ابن عباس فى تاريخ الأوثان (ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق، ونسر) هى أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتوا جعل الناس لهم أنصابا

عكفوا عليها وعبدت من دون الله .

وقال ابن حاتم فى الصنم (ود) كان رجلا مسلما محببا فى قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره حتى اتخذوه إلها يعبد من دون الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لعن الله من ذبح لغير الله** »رواه مسلم وقال «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنوجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » **أخرجه أبو داود** .

وعن عمر رواه مسلم «وإن أمتكم هذه جعل الله عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها » .

وعن أنس قال : قال رجل يارسول الله الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحنى له ؟ **قال** : لا . رواه الترمذى .

وقال :« **تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى . قيل : من الناجية . قال : أهل السنة والجماعة ، قيل : وما السنة والجماعة ؟ قال : هى ماكانت على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى** » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة .

﴿فمال هؤلاء القوم لا يفقهون حديثا ﴾ .

جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

الأخ الفاضل دكتور مصطفى درويش ممن ساروا على درب التوحيد له فيه مؤلفات كثيرة رئيس مكتب الشهر العقارى بسوهاج ، جزاه الله عن الإسلام خير

الجزاء .

من اقوال أولياء الصوفية :

وبعد فإن الإسلام قائم على أصلين هما أساس الولاية ووحدانية الله سبحانه وتعالى وعبادته كما شرع أما عناصر الولاية عند الوفية وبالأخص ابن عربى وعند الشعرانى ومن سار على نهجهما .

يقول الدكتور زكى مبارك فى كتابه عن التصوف : فالذى يؤمن بكل ما أشار إليه الشعرانى يخرج وهو مخبول ، والذى يؤمن بكل ماأشار إليه ابن عربى يخرج وهو زنديق (كتاب التصوف الإسلامى جـ٢ ص٣٠٥) .

يقول ابن عربى فى كتاب فصوص الحكم ، والفتوحات المكية وفى كتبه الأخرى عن أولياء الصوفية هم المستغرقون فى عين الهوية الأحدية بفناء الأنية ، ويقول هم الذين آمنوا الإيمان اليقينى وكانوا يتقون حجب صفات النفس ، وموانع الكشف ، وذلك لأنهم متصلون بالمبادىء العالية الروحانية كالعقل (يقصد العقل العام الكونى كما يقول الفلاسفة) .

وكلمات عين الهوية وفناء الأنية وحجب صفات النفس وموانع الكشف يشير إلى مذهب وحدة الوجود .

ووحدة الوجود مضاد للإسلام ، لأنه يرى الوجود حقيقة واحدة يقول سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ، وفى قوله فى الفصوص :

يا خالق الأشياء فى نفسه   أنت لما تخلقه جامع

تخلق مالا ينتهى كونه   فيك فأنت الضيق الواسع

فهو لا يفرق بين الخالق والمخلوقات ، وعلى ذلك فلايفرق بين الأديان أرضية كانت أو سماوية ، وثنية كانت أم فلسفية .

لقد حارب ابن عربى عقيدة التوحيد الإسلامية وأضل بنظريته كثيرا من الباحثين الفلسفيين ، وعلى رأسهم كثيرا من المتصوفين .

وأرقى درجات الولاية عند ابن عربى الظلم أخذها من قوله تعالى **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ﴾** (فاطر : ٣١) .

فقد جعل كلمة ظالم أرقى درجات الولاية ؟! .

وفسر الظالمين بقوله هم الغارقون فى بحار العلم بالله ، وحيرتهم فى الله إنه يؤول ويلحد فى كتاب الله كما شاء له الهوى !!

والشبلى وهو من أولياء الصوفية يسمع قارئا يقرأ قوله تعالى **﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾** فيصيح ياليتنى كنت منهم ، وتجد كفريات البسطامى وغيره كثيرا من هذه الضلالات .

وهذا أبو زيد شيخ من شيوخهم يقول : (وددت لو قامت القيامة فأنصب خيمتى على جهنم ، فسأله مريد من مريديه ، لم ذاك ياأبا زيد ؟ فقال : إن جهنم إذا رأتنى تخمد وأكون رحمة للخلق ، ويقول إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فأسأله أن يدخلنى النار . فقيل له : لم ، قال حتى تعلم الخلائق أن بره وعطفه فى النار مع أوليائه .

ويستمر أبو زيد البسطامى فى زندقته وإلحاده فيقول: أراد موسى أن يرى الله ، وأنا ماأردت أن أرى الله تعالى ، هو أراد أن يرانى ، ويقول عندما سمع قارئا يقرأ قوله

تعالى : ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ وحياتي إن بطشى أشد من بطشه .

ويقول الجيلى فى كتابه الإنسان الكامل (إن العبد إذا رقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدرية وكشف له عنه علم أن ذات الله تعالى هى عين ذاته) .

هذا الهذيان الفاجر يمكنك أن تقرأ كثيرا منه فى الطبقات للشعرانى ، وتلبيس إبليس لابن الجوزى بما يسمونه الشطح .

ويعرف ذو النون المصرى الذكر بأنه غيبة الذاكر عن الذكر ، ويقول الخراز وهو قطب من أقطابهم وإذا أراد الله أن يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب .

ويقول صاحب كتاب الإنسان الكامل (وعلم الولى لا يقف عند معرفة الصحيح والضعيف من الأحاديث النبوية فحسب ، وربما حديث يكون صحيحا عند أئمة «علم الظاهر» يكون عند الولى غير صحيح لأنه بالكشف ومخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف منه صحة الحديث وكذبه ، «سمعنا من هذه الهراءات كثيرا من الذين يسمونهم علماء يشيعون ذلك فى الأحاديث الإذاعية» وعلم الولى – ولى الصوفية طبعا – يعلم العوالم بأجمعها يعلم كل شىء كان ويكون ، وكيف كان ، وكيف يكون ، وعلم مالم يكن كل ذلك علما أصليا كشفا «الفتوحات المكية» .

والولى عندهم يسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات والجمدات والملائكة واختلاف اللهجات واللغات ، وكل البعد عنه كالقريب ثم يقول عن نفسه (وفى هذا التجلى سمعت علم الروحانية ويقولون «لعلماء الظاهر كما يسمون علماء الشريعة الإسلامية» أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى

لا يموت .

انظر ياأخى : إنها ولاية إلحادية ، تستر ابن عربى ليدس السم فى العسل بتظاهره بالإسلام وتفسير القرآن ؟! .

وابن عربى يدين بنظرية الحلول بالنسبة لكل شىء فى هذا الكون ، أليس هو القائل :

وماالكلب والخنزير إلا إلهنا ومالله إلا راهب فى كنيسته

بل هو القائل يبرر عبادة كل شىء أصناما وأوثانا ، قبورا وأفرادا ، حتى فرعون نفسه يقول :

عقد الخلائق فى الإله عقائد وأنا اعتقدت جميع ماعتقدوه

هذه هى أديان المتصوفة فى كتبهم ، وإن قالو إنهم لا يؤمنون بها فهم كاذبون ، أليسوا هم العاكفون حول الأضرحة يجيزون النذور لها والاستغاثة بها ؟

وأخيرا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ،

د/ عبد الكريم دهينة

الانتهاء فى ٢٠/ ٦ / ١٩٩٣م

فهرست الكتاب